





في رباب أهل البيت عليهم السلام

(٣٦)

**حقيقة التشيع**



اسم الكتاب: حقيقة التشيع  
المؤلف: الأستاذ صباح علي البياتي - لجنة البحوث  
الموضوع: كلام  
الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام  
الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ  
الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ  
المطبعة: ليلى  
الكمية: ١٠٠٠٠

ISBN: 964-8686-76-9

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

[www.ahl-ul-bait.org](http://www.ahl-ul-bait.org)





## كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليه السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطى أهل البيت عليه السلام الرسالية، مستوعبين إشارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حرّيم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليه السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في

الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.



ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

المعاونية الثقافية - قم المقدسة



## حقيقة التشيع ونشأته

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين...  
لقد حظيت مسألة حقيقة التشيع ونشأته باهتمام الكثير من المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً، وتضاربت فيها الآراء والأفكار، حيث كان معظم المؤلفين فيها ينظرون الى الشيعة على أنها فرقة من الفرق التي ظهرت في فترة الانقسامات العقائدية، التي شملت شرائح واسعة من الأمة الإسلامية، بسبب الاختلافات العقائدية التي ظهرت كنتيجة للانقسامات السياسية بعد مرور أقل من نصف قرن على بدء الهجرة النبوية، وحدوث فتن أدت الى انقسام المسلمين الى معسكرات متحاربة يستبج فيها المسلم دم أخيه، وصارت كل فرقة تعتقد أو توحى على أنها هي صاحبة الحق وخصمها هو المبطل، ولأجل ذلك صارت الفرق الإسلامية تتسابق لتجسيد نظرياتها، من خلال تأويل بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ثم استفحل الأمر أكثر من ذلك

عندما بدأ منظرو هذه الفرق ومتعصبوها بالتجرؤ على الحديث النبوي الشريف، فبدأت بوضع وتلفيق بعض الأحاديث التي تدعم وجهة نظرها من جهة، ووضع أحاديث أخرى في ذم الفرق الأخرى، فظهرت أحاديث مكذوبة من أمثال: «سيكون في أمتي قوم لهم نبي يقال لهم الروافض، أقتلوهم فإنهم مشركون».

مع أن من المتعارف عليه عند المؤلفين في الفرق أن اسم الروافض قد أطلقه زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على الذين فارقه أثناء ثورته على الأمويين، وأن هذه المفردة وغيرها من الأسماء التي أطلقت على الفرق المخالفة للجمهور لم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وآله.

ومن الأحاديث التي اكتسبت صفة شبه التواتر بعدما روتها كل الفرق حديث انقسام الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة إلا واحدة، فحاولت كل فرقة أن تثبت أنها هي المعينة بالفرقة الناجية وأن ما عداها هالك في النار!

ومما زاد الطين بلة أن هذه العقائد قد بدأت تترسخ على مرّ الأيام، ودخلت هذه الأحاديث المكذوبة في المجاميع الحديثية وصارت تلقن على أنها من كلام النبي صلى الله عليه وآله، مع أن هذه الأسماء والمصطلحات لم تكن معروفة في عصر الرسالة

ومابعدھا بقليل، ولم تبدأ بالانتشار إلا بعد أن بدأت المعارك الكلامية تحتدم بين المسلمين بعد انفتاحهم على الثقافات الأجنبية للأمم التي دخلت في الإسلام، أو التي تم ترجمة تراثها الى العربية، وبدأت كل مدرسة تكون لها فلسفة خاصة في العقيدة، مستفيدة من المصطلحات التي أغنتها بها فلسفة وفكر اليونان، والفرس، والهنود وغيرهم.

وعندما بدأ عصر التدوين بالازدهار، وأدلى المفكرون المسلمون بدلوهم في مختلف العلوم والفنون، كان أتباع مدارس الكلام قد بدأوا ينظرون النظريات في الخلافة والإمامة وأسلوب الحكم. وكانت الطامة عندما بدأت الكتابة في الفرق والمذاهب والأديان، فقد كان معظم الكتاب في هذا المضمار، كالشهرستاني والبغدادي وغيرهما من الجمهور، الذي يمثل هوى ورأي الأكثرية في الأمة الإسلامية، والذي اصطلح على تسميتهم بأهل السنة والجماعة، فكانت هذه المؤلفات كلها تركز على نقطة معينة، وهي محاولة حصر الفرق الإسلامية بثلاث وسبعين فرقة، ثم بيان ضلال اثنتين وسبعين منها وإثبات أن الفرق التي تمثل الجمهور هي الفرقة الناجية، وأن بقية الفرق - ومنها الشيعة - هي ليست إلا فرقاً من المبتدعة الزائغة عن جادة الصواب.

ولأجل إثبات ذلك فقد تضاربت الآراء في نشأة هذه الفرقة وعقائدها، فنسبت تارة الى أنها أتباع ابن سبأ وتستمد عقائدها من اليهودية، وتارة الى أنها فارسية تستمد أفكارها من عقائد المجوس، وأخرى الى أنها فرقة تكونت كرد فعل على ما جرى على أهل بيت النبي ﷺ من بلاء، كواقعة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام، ومن قبله استشهاد علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهكذا تضاربت الأقوال في تاريخ نشأة التشيع، فعزا البعض نشأتها الى ما بعد حادثة السقيفة، وآخرون أرخوها بعصر عثمان وأحداث الفتنة، وآخرون عزوها الى بدء معركة الجمل، أو صفين، أو الى ما بعد استشهاد الحسين عليه السلام.

وكان سبب هذه النظرة الغائمة الى نشأة التشيع، هو عدم معرفة حقيقة التشيع كخط يمثل حقيقة الإسلام بكل مظاهره وعقائده، وأنه ليس حدثاً طارئاً على فكر الأمة الإسلامية أو عقيدة مستوردة من إحدى الأمم، بل هي عقيدة إسلامية بكل معنى الكلمة، بذرت بذرتها الأولى النبي الأكرم ﷺ، واستمرت في النمو يوماً بعد يوم يُغذيها أهل البيت عليهم السلام، ويبينون ملامحها ويدفعون عنها الشبهات ويحاربون المتطقلين والمتسللين إليها، ويفضحون المستترين بأهل

البيت عليه السلام للوصول الى أغراض أخرى تستهدف هدم الإسلام.

ومن هنا جاء الخلط عند البعض، فحاولوا أن ينسبوا عقائد أولئك المتسللين الى الشيعة على أنها تمثل الفكر والاتجاه والعقيدة الشيعية، ملصقين بالشيعة عموماً تهمة التحريض والتآمر على الإسلام، حتى قالوا بأن التشيع أصبح ملاذاً لكل الأفكار الهدامة، التي تستهدف القضاء على العروبة والإسلام. على ذلك سار الأولون وتبعهم الآخرون. ومن المؤسف حقاً أن ينبري الباحثون المعاصرون للطنن في الشيعة والتشيع بالاعتماد على ما قيل فيهم من خصومهم، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الحقيقة والاطلاع على عقيدة كل فرقة من خلال تراثها. وبخاصة فإن العصر الحديث قد أتاح كل ذلك وهياً أدوات البحث العلمي لكل من أراد الوصول الى الحقيقة بتجرد.

إن سلامة النيات هي التي تحدّد اتجاه الباحث عن الحقيقة، فإذا فقد هذا الشرط فإنه لا أمل في ظهور الحقيقة على كتاباته.

على أن الزمن لم يعدم عدداً من الباحثين - ومن بينهم بعض المستشرقين - ممن لا يتوخون سوى الحقيقة،

فاكتشفوا وكشفوا عن وجه الحقيقة أو بعضها، كما انبرى مؤلفو الشيعة وباحثوها، الى تصنيف الكتب وتدوين أبحاثهم في هذا المجال، لكي تكون سابلاً لمن يريد أن يتصدى للبحث في هذا الموضوع طلباً للحقيقة.

وبحثنا هذا هو إحدى هذه المحاولات المتواضعة، عسى الله أن ينفع بها من يريد أن ينتفع أو يلقي السمع وهو شهيد، والله من وراء القصد.



## الفصل الأول الإسلام والتسليم

قال ابن منظور: الإسلام والاستسلام: الانقياد.  
والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة  
والتزام ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم ويستدفع  
المكروه، وما أحسن ما اختصر به ثعلب ذلك فقال: الإسلام  
باللسان والإيمان بالقلب.

وأما الإسلام: فإنّ أبا بكر محمد بن بشار، قال: يقال فلان  
مسلم، وفيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو  
المخلص لله العبادة<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يمكن أن نتبين أنّ هناك فرقاً قد لا يبين لأوّل  
وهلة بين الاستسلام لأمر الله، وبين الاخلاص للعبادة،  
فالمعنى الأوّل هو أكثر استيعاباً لحقيقة الإيمان الذي يحكم

---

(١) لسان العرب ١٢: ٢٩٣.

علاقة الفرد بربه، فإن الاستسلام لأمر الله يتضمن التعبد المطلق لكل أوامر الله ونواهيه، دون أن يكون للفرد أي إرادة أمام إرادة المولى سبحانه وتعالى، وتبعاً لذلك فإنه يخضع خضوعاً تاماً لكل ما جاء به النبي ﷺ، باعتباره مبلغاً عن الله، وإيماناً منه بأن النبي لا ينطق عن الهوى، بل بوحى من الله سبحانه، وهذا ينسحب على كل ما يأمر به أو ينهى عنه النبي ﷺ، سواء ما كان يتعلق بالأحكام التشريعية وأداء العبادات، أو حتى ما يتعلق بالخصومات والخلافات التي قد تقع بين أفراد الأمة، وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾<sup>(٣)</sup>.

فمن هنا يتبين أن الإسلام الذي يريده الله سبحانه من عباده، هو المتضمن لكل معاني التسليم لقرارات النبي ﷺ،

(١) الحشر: (٥٩) ٧.

(٢) النساء (٤): ٥٩.

(٣) النساء (٤): ٦٥.

حتى لو كانت هذه المقررات ممّا يخالف ما تهواه نفس الإنسان وتصبو إليه، أو كان الفرد يعتقد أنّ المصلحة تقتضي غير ذلك، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنّ التسليم لأمر الله ورسوله مقدّم على مقتضيات المصلحة، التي يراها الفرد باجتهاد منه أو تبعاً لبعض الأعراف السائدة، وأنّ الإسلام الحقيقي يجب أن يتضمن الخضوع والاستسلام المطلق لإرادة النبي ﷺ أيضاً، باعتباره مبلغاً عن الله وأن طاعته هي امتداد لطاعة الله سبحانه.

أما الاصطلاح الثاني الذي هو الاخلاص لله في العبادة، فهو يتضمن اخلاص التعبد لله في المسائل الشرعية التي تتضمن العبادات المتعلقة بأداء الجوارح، كالصلاة والصوم والحج وما الى ذلك، وهي في مفهومها أضيق من مفهوم التسليم المطلق لأوامر النبي ﷺ ونواهيه، لأنّ التعبد بالأحكام الشرعية قد يتساوى فيه كثير من الناس ويجتهدون فيه، إلّا أن الفرد منهم قد لا يتحمل التعرض لأي فتنة، أو بلاء، أو قد لا يسلم لحكم يعتقد أنّ المصلحة في غيره.

لقد عبّر القرآن عن هذين المفهومين وميّز بينهما، فسمى الأوّل إيماناً والثاني إسلاماً، عندما خاطب الأعراب،

بقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَمُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا يعني أن الأعراب ربّما لم يقصّروا في تأدية التكاليف الشرعية المفروضة عليهم، إلّا أنّ القرآن قد نبتهم على أنّ ذلك ليس هو الإيمان الذي يتضمّن معنى التسليم المطلق لله تعالى وللرسول ﷺ، وقد تبين ذلك من مواقف البعض منهم في غزوة تبوك، مثلاً عندما تخلفوا عن النبي ﷺ، ونزل القرآن بدمهم، لأنهم اعتقدوا المصلحة في عدم الامتثال لأمر النبي ﷺ وظنّوا أنّ في الأمر سعة وتساهلاً قد يبرّر تخلفهم، فنزل القرآن بتوبيخهم وتوبيخ بعض الصحابة الذين نهجوا نهجهم، وكان موقف القرآن شديداً منهم.

#### الاجتهاد في مواقف بعض الصحابة

إنّ استعراض تاريخ فترة الرسالة يؤكد لنا حقيقة مفادها: أنّ الصحابة لم يكونوا كلّهم على درجة واحدة من التسليم لأوامر النبي ﷺ، فقسم منهم كان يتلقّى أوامر النبي ونواهيّه ووصاياه على أنها من المسلّمات التي لا ينبغي تجاوزها بأي

(١) الحجرات (٤٩): ١٤.

شكل من الأشكال - وهم أقلية - بينما كان هناك من يرى أنّ تعليمات النبي ﷺ يمكن مناقشتها<sup>(١)</sup>، بل وحتى مخالفتها إذا اعتقدت ضرورة استدعي ذلك<sup>(٢)</sup>، أو أنّ في ذلك مصلحة، أو حتى من باب التنزه عن بعض ما يفعله النبي ﷺ، وقد جاءت بذلك أخبار كثيرة، منها:

إنّ النبي ﷺ عندما خرج بأصحابه في طلب قافلة أبي سفيان، وما كان من تدبير أبي سفيان وقدرته على النجاة من أيدي المسلمين، وما أعقبه من خروج مشركي مكة للدفاع عن أموالهم، حيث وجد المسلمون أنفسهم وجهاً لوجه أمام قريش في خيلها وسلاحها، وكانت رغبة النبي ﷺ واضحة في مناجزة القوم، خصوصاً وأنّ زعماء المشركين وعلى رأسهم أبو جهل كانوا مصرّين على مقاتلة المسلمين (وظنّهم أنّها) فرصة لاستئصال شأفتهم والاستراحة من النبي ﷺ ومن دعوته إلى الأبد، وكان رجوع النبي ﷺ مع المسلمين دون مناجزة يعدّ فراراً من القتال، بل ربّما شجّع المشركين على غزو المسلمين في عقر دارهم، وفي ذلك خطر عظيم. ولكن الصحابة رغم معرفتهم برغبة النبي ﷺ في القتال، إلّا

(١) و (٢) السيرة النبوية والآثار المحمدية بهامش السيرة الحلبية ١: ٣٧٠ -

أن الكثير منهم لم يؤيد الفكرة، حتى قال له بعضهم: هلاً ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له! إنا خرجنا للغير، وفي رواية: يا رسول الله! عليك بالغير ودع العدو، فتغير وجه رسول الله ﷺ. قال أبو أيوب: وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ (١).

وحينما خرج النبي ﷺ إلى بدر - وكان ذلك في شهر رمضان - فصام يوماً أو يومين ثم رجع ونادى مناديه: يا معشر العصاة، إني مفطر فافطروا! وذلك أنه كان قد قال لهم قبل ذلك: «افطروا» فلم يفعلوا (٢).

بل إن البعض كان موقفه مثبطاً للنبي ﷺ في عزمه على القتال، فلما استشار النبي ﷺ أصحابه قام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله! إنها والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تُسلم عزها أبداً ولتقاتلتك. فأعرض عنه النبي ﷺ (٣)...

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية، لأحمد زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ١: ٣٧١، والآية في سورة الانفال: ٥.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٤٧-٤٨.

(٣) المصدر السابق.

وفي الطرف الآخر نجد صحابة آخرين كان موقفهم مغايراً لموقف أولئك ، فإنّ المقداد بن عمرو قام، فقال: يا رسول الله! امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إِنّا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك، فقال له رسول الله ﷺ خيراً.

وقام سعد بن معاذ من الأنصار فكان ممّا قاله للنبي ﷺ: إِنّا قد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ كلّ ما جئت به حقّ، وأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامض يا نبيّ الله، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي متّا رجل، وصلّ من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت، والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق ومالي بها من علم، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً، إِنّا لصُبّر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعلّ الله يريك متّا ما تقرّ به عينك<sup>(٢)</sup>.

(١) المائدة (٥): ٢٤.

(٢) المغازلي للواقدي ١: ٤٧-٤٨.

فمن هذه الكلمات تتبين مواقف الصحابة التي كانت تتأرجح بين التسليم وعدمه.

وبالإضافة الى ذلك فقد بدأت تظهر على مواقف بعض الصحابة نظرة جديدة تتمثل بتغليب آرائهم على رأي النبي ﷺ، أو بتعبير آخر الاجتهاد في مقابل النص النبوي، والذي قد يؤدي بالنتيجة الى عدم الامتثال لأمر النبي ﷺ، وقد بدا ذلك في مناسبات عديدة، فعن أبي سعيد الخدري: أن أبا بكر جاء الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله اني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي، فقال له النبي ﷺ: «أذهب فاقتله».

قال: فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع الى رسول الله ﷺ، قال: فقال النبي ﷺ لعمر: «أذهب فاقتله». فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر، فكره أن يقتله، فرجع، فقال: يا رسول الله اني رأيته يصلي متخشعاً فكرهت أن أقتله. قال: «يا علي إذهب فاقتله»، قال: فذهب علي فلم يره، فرجع علي، وأخبر رسول الله ﷺ بأنه لم يره. فقال النبي ﷺ: «إنّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن ما يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فواقه



فاقتلوهم، هم شرّ البرية»<sup>(١)</sup>.

وفي صلح الحديبية أعطى النبي ﷺ لقريش كل ما طلبوا منه ، بينما صرح بعض الصحابة بأنه إعطاء الدنية، رغم أنّ النبي ﷺ قد أمضاه وهو أعلم بالمصلحة فيه من غيره، ولا يمكن تصوّر أنّ النبي ﷺ يقدم على أمر فيه ضرر على الإسلام والمسلمين، ورغم ذلك فإنّ بعض الصحابة اعتقد أنّ له الحقّ في الاعتراض على القرار النبويّ، حتى قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ معترضاً - كما ذكر البخاري عن لسان عمر نفسه - ، فقلت: ألسنّ نبيّ الله حقّاً؟! قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحقّ وعدّونا على الباطل؟! قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟!!

قال ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري». قلت: أوليس كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟! قال: «بلى ، أفأخبرتك أنّا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنّك آتيه ومطوّف به». قال: فأتييت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقّ وعدّونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال:

(١) مسند احمد ٣: ١٥.

أيها الرجل، إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره  
فاستمسك بغرزه فوالله إنه لعلی الحق.

فقلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟  
قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتیه  
ومطوف به. قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه:  
«قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى  
قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد دخل على أم  
سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله،  
أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر  
بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم  
حتى فعل ذلك. نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك  
قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم  
يقتل بعضاً غمماً...»<sup>(١)</sup>.

وهذه الحادثة تدلنا على غرابة مواقف بعض الصحابة،  
فبعد أن أخبر النبي ﷺ عمر بن الخطاب بأنه رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري ٨١:٢، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد  
والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، صحيح مسلم: باب صلح  
الحديبية.

الذي لا يعصي ربه، وكفى ذلك في إثبات صحة موقف النبي، وبعد أن أخبره أيضاً بأنه سيأتي البيت ويطوف به في غير هذا العام، فإنّ جواب النبي ﷺ لم يكن كافياً لإقناع عمر بضرورة الإمتثال دون مناقشة، إذ أنه ذهب الى أبي بكر وأعاد عليه نفس المسألة، وتبدّى الأمر بشكل أفظع حين امتنع الأصحاب من طاعة النبي ﷺ عندما أمرهم بالنحر والحلق!

وتكررت مخالفات الصحابة لأوامر النبي ﷺ بعد ذلك حتى بدأ النبي ﷺ يشكو علناً مما يلقاه من الأذى من مخالفاتهم واعتراضاتهم المتكررة عليه. فعن عائشة أنها قالت: قدم رسول الله ﷺ لأربع مضين من ذي الحجة أو خمس فدخل عليّ وهو غضبان، فقلت من أغضبك يا رسول الله؟ أدخله الله النار! قال: «أوما شعرت أنّي أمرت الناس بأمرٍ فإذا هم يترددون، ولو أنّي استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى اشتريه ثم أحلّ كما حلّوا»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٣٤:٤، سنن ابن ماجه ٩٩٣:٢، مسند احمد ٢٨٦:٤ و١٧٥:٦، وفي رواية البراء بن عازب أن النبي قال: «اجعلوا حجكم عمرة» فقال الناس: يا رسول الله، كيف نجعلها عمرة وقد أحرمتنا بالحج؟

وجاء عنها أيضاً أنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً ترخص فيه، وتنزّه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنع؟! فوالله أني أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية»<sup>(١)</sup>.

فكأنّ القوم كانوا يجهلون أنّ النبي ﷺ كان أشدّهم تقوى ومخافة من الله! وما بالهم يظنون به الظنون ويتوهمون أنّ فعله قد يكون مخالفاً لأمر الله حتى يتنزهوا عنه ويستنكفوا منه!

وبلغ الأمر بالبعض الى مخالفة أوامره ونواهيه الصريحة، سواء منها في صغائر الأمور أو أكابرها، وكأنّهم ظنّوا أنّ لهم الحقّ في التصرف والافتاء بما يخالف قول النبي ﷺ، فعن جابر أنّه قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نطرق النساء، فطرقناهن بعد!<sup>(٢)</sup>

→ قال: «انظروا الذي أمركم به فافعلوه»، فردّوا عليه القول... الخ. قال الذهبي: هذا حديث صحيح من العوالي، أخرجه ابن ماجة، سير أعلام النبلاء ٤٩٨:٨.

(١) صحيح البخاري ١٤٥:٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٧٢٧:٧، مسند الحميدي ٥٤٣:٢، مسند أحمد ٣:٣٠٨، مسند أبي يعلى ٣:٣٧٣.

## تفاقم الأمر

لقد أدت جرأة بعض الصحابة على أوامر النبي ﷺ وتعليماته، الى استفحال الظاهرة حتى تكوّنت قناعة لدى البعض بأنهم ملزمون باتّباع النبي ﷺ فيما يبلغهم من الوحي عن الله سبحانه، وفيما يتعلق بأمر العبادة فقط، أما الأمور التي تتعلق بالقيم الاجتماعية الموروثة، أو ببعض العادات والأعراف، أو حتى فيما يتعلق بأمر التنظيم السياسي وشكل نظام الحكم من بعد النبي ﷺ، فقد رأوا أنّ من حقهم أن يبتوا فيها بأنفسهم وأن يخالفوا النصوص النبوية إذا ما تصورا أنّ المصلحة في غيرها. وقد ظهر ذلك جلياً في موقفهم من تأمير أسامة بن زيد، رغم أنّ النبي ﷺ كان هو الذي قد ولّاه قيادة الجيش وعقد له اللواء بيديه الشريفتين، فإنّ ذلك لم يمنع بعض الصحابة من الاعتراض على فعل النبي ﷺ، والطعن في إمارة أسامة زعماً منهم أنّ حادثة سنّه لا تؤهّله لكي يتأمر على مشيخة المهاجرين والأنصار، وفيهم أمثال أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وغيرهم<sup>(١)</sup>!

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٩٠، تاريخ يعقوبي ٢: ٧٤ ط بيروت، الكامل لابن الأثير ٢: ٣١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي

حتى خرج النبي ﷺ مغضباً، فصعد المنبر وهو في مرضه الشديد وقال:

«أيها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟! ولئن طعنتم في تأميري أسامة، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنه كان لخليقاً بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بها»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من تشديد النبي ﷺ وأمره بالتعجيل ببعث أسامة، فقد ظلّ الناس يتثاقلون عنه حتى توفي النبي ﷺ قبل أن يغادر البعث موقعه في الجرف، بل وكاد البعث أن يلغى، أو على الأقل يُغيّر أميره<sup>(٢)</sup>.

لقد وصل موقف بعض الصحابة في عدم الامتثال

→ ١: ٥٣، السيرة الحلبية ٣: ٢٠٧، السيرة النبوية لدحلان بهامش السيرة الحلبية ٢: ٣٣٩، كنز العمال ٥: ٣١٢، أنساب الأشراف ١: ٤٧٤، ترجمة أسامة من تهذيب تاريخ دمشق.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٩٠، تاريخ البيهقي ٢: ٧٤ ط بيروت، الكامل لابن الأثير ٢: ٣١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١: ٥٣، السيرة الحلبية ٣: ٢٠٧، السيرة النبوية لدحلان بهامش السيرة الحلبية ٢: ٣٣٩، كنز العمال ٥: ٣١٢، أنساب الأشراف ١: ٤٧٤، ترجمة أسامة من تهذيب تاريخ دمشق، وانظر المغازي للواقدي ٣: ١١١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٢٦، الكامل ٢: ٣٣٥، السيرة الحلبية ٣: ٢٠٩.

لأوامره ﷺ إلى ذروته وذلك قبيل وفاة النبي ﷺ بفترة وجيزة، فقد أخرج جمع من المحدثين والمؤرخين وأرباب السير، - واللفظ للبخاري - عن ابن عباس، أنه قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلف أهل البيت فاختلفوا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ، قال لهم رسول الله ﷺ: «قوموا عني» فكان ابن عباس، يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ آخر للبخاري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبي تنازع - فقالوا:

(١) صحيح البخاري ٢٢:١، كتاب العلم.

ما شأنه؟! أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردّون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث، قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت عن الثالثة، أو قال فنسيته<sup>(١)</sup>.

ولا أدري أيّ مصلحة كانت في منع النبي ﷺ، من كتابة ذلك الكتاب الذي كان سيعصم الأمة من الضلال، حتى أنّ ابن عباس سمّاه بالرزية وكان يبكي حتى يبّل الحصى بدمعه، كما تذكر بعض الروايات، إلّا أن يكون موضوع الكتاب متعلقاً بأمر يعتبره البعض متنافياً مع ما يراه من المصلحة، كما سوف يتبيّن لنا فيما بعد.

---

(١) صحيح البخاري ١٣٧:٥ باب مرض النبي ووفاته، ووردت بلفظ مقارب في الجزء الرابع صفحة ٦٥ من صحيح البخاري كتاب الجزية باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، والسكوت عن الوصية الثالثة من جانب ابن عباس أو إدعاء سعيد نسيانها توحى بخطورة موضوعها وهو ما سوف يتبيّن في الأبحاث القادمة، وانظر أيضاً صحيح البخاري ٦١:٨، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب كراهية الخلاف، وصحيح مسلم ٧٥:٥ كتاب الوصية، ومسند أحمد ٣٥٦:٤ ح ٢٩٩٢، بسند صحيح وغيرها من المصادر.



## الفصل الثاني

### المرجعية الدينية

إنّ المرجعية الدينية عند الأمم السالفة كانت منحصرة في الغالب بأيدي رجال الدين أو الكهنة إذا صح التعبير، وكانت السلطة الزمنية منفصلة عن السلطة الدينية، فكان فراعنة مصر رغم اعتبارهم أنفسهم من نسل الآلهة، إلا أنّ ذلك كان في الحقيقة لقباً تشريفاً لهم أكثر منه واقعياً، فالملوك لم يكونوا يتولون من الأمور الدينية إلا بعض أشكال شعائرها التي كان الكهنة في الغالب يقومون بتحضير طقوسها، وكان هؤلاء الكهنة هم المرجع الديني لأهل البلاد، وكان ملوك مصر يحكمون في الغالب في الأمور التي تتعلق بسياسة الملك وإدارة البلاد، بينما كان الكهنة في معابدهم يتولون الأمور المتعلقة بشعائهم الدينية، ويقال مثل ذلك عن معظم الأمم الأخرى.

وفي الديانات السماوية تحوّلت الوظائف الدينية الى أيدي الحاخامات في الديانة اليهودية، والبابوات في الديانة

المسيحية، حيث كانت السلطة السياسية منحصرة في أيدي الساسة الذين كانوا يتولون إدارة البلاد، وإن كانوا - حرصاً على موالاة الشعب - يتظاهرون بتمسكهم بتعاليم رجال الدين ويضفون عليهم هالات التقديس والتعظيم، تاركين لهم التصرف في الشؤون المتعلقة بالدين، بينما ينصرفون هم إلى تدعيم ملكهم وممارسة سلطاتهم الزمنية.

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى يثرب تشكلت نواة دولته الإسلامية فيها، وأصبح النبي ﷺ جامعاً للسلطتين الدينية والزمنية معاً، فهو المعلم والمرشد في كل ما يتعلق بأمر الشريعة، وبيان الأحكام الشرعية داعياً أتباعه للاستئناس بسنته في كل ماله علاقة بالدين، حتى قال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وهو في الوقت ذاته القائد السياسي الذي ينظم شؤون دولته، كما تجلّى ذلك في الصحيفة التي كتبها بعد هجرته وعلى أساسها تم تنظيم العلاقة بين أتباعه من جهة، وبينهم وبين سكان المدينة الآخرين ممن لم يتبعوه كاليهود وغيرهم من جهة أخرى، وكان هو القائد العام للجيش الذي قاد المعارك الكبرى، وكان يبعث السرايا ويؤمر عليها بعض أصحابه كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فكان النبي ﷺ هو قائد المجتمع بكل معنى الكلمة، الماسك

بزمam السلطين معاً.

لقد فهم المسلمون من تدابير النبي ﷺ أن هذا الأمر مستمر بعده، وأن الذي سوف يخلفه يجب أن يقتدي به، فهو الإمام المتبع الموكل بحفظ الشريعة المتمثلة بالحكم بكتاب الله وما في سنة النبي ﷺ، الى جانب كونه الحاكم الذي يدير أمور الدولة الإسلامية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، فالدين في الإسلام لا ينفصل عن السياسة العامة للدولة الإسلامية، والذي يخلف النبي ﷺ ينبغي أن يعمل وفق هذا الخط، وبما أنه لا يمكن أن يتساوى أفراد المجتمع الإسلامي في درجة الكفاءة للقيام بمثل هذه المهمة البالغة الخطر، فلا بد إذاً من أن تجتمع في الخليفة صفات ومواهب خاصة تمكنه من القيام بعمله وحفظ الشريعة وصيانة الدولة من أي خطر يتهدها في كل مجال.

وإذا كانت بعض الشؤون المتعلقة بالسلطة الزمنية قابلة للاجتهاد فيها حسب مقتضيات المصلحة، فإن الأمور المتعلقة بالناحية الشرعية لا تقبل مثل هذا الاجتهاد الذي قد يقود الى الاستخفاف والتهاون بالشريعة شيئاً فشيئاً، مما يعرض المرجعية الدينية الى عواصف قد لا تصمد أمامها على مرّ الأيام فينشأ من هناك الخطر من وقوع التحريف في

هذه الشريعة، وبالتالي ضياع كثير من الأحكام الشرعية، وتكثر العثرات في تطبيقها. لذا يمكن القول بأن المرجعية الدينية شروطاً لا يمكن لمن لم تتوفر فيه أن يتصدى لتولي هذه المرجعية بما يحمله ذلك من الخطر عليها، ومن هنا تبرز أهمية أن نعرف ما إذا كان النبي ﷺ قد حدّد خطوط هذه المسألة، وبيّن شروط المتصدّي لها، ونصّ على شخص أو أشخاص بعينهم، أم أنه ترك الأمر للأمة لكي تقرّر ذلك وتبين الأصلح للتصدّي لهذه المرجعية حسب مقتضيات ما تراه من المصلحة.

#### شروط المرجعية الشاملة:

بعد ما اتّضحت أهمية المرجعية الدينية في حفظ الشريعة، أصبح من الضروري بيان الشروط الواجب توفّرها فيمن يتصدّى لهذه المرجعية، وهي تتمثل في الكفاءة والموهبة التي يملكها المتصدّي لهذا الأمر، وهذا بدوره يتطلب وجود نصّ أو نصوص من النبي ﷺ على وجود هذه الكفاءة في المنصوص عليه بحيث لا تصبح هذه المسألة موضع نقاش وجدل بين أفراد الأمة بحيث يؤدي الى تشتت الآراء ووقوع الخلاف الذي نهت الشريعة عنه.

## الكفاءة أولى شروط المرجعية الشاملة:

عندما نستعرض تاريخ الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية الشريفة، تطالعنا جملة من النصوص أشار فيها النبي ﷺ إلى من تتوفر فيه هذه الكفاءة، فقد أخرج المحدثون أنّ النبي ﷺ بعد رجوعه من حجة الوداع، نزل في مكان من الجحفة يقال له غدير خم، فأمر بدوحات هناك فقمّمن، ثم جعل له من أفتاب الإبل شبه المنبر، فقيه حتى رآه الناس، فكان ممّا قال لهم:

«كَأَنِّي دُعِيت فَأُجِبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ وَعَتْرَتِي، فَاظْطَرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» وَنَصَّتْ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ عَلَى أَمْرٍ مَهْمٌ هُوَ: «مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا»<sup>(١)</sup>. قال ابن حجر الهيتمي المكي - بعد إيراده لعدة روايات

(١) المستدرک ٣: ١٠٩، ٥٣٣، وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص، وانظر مسند أحمد ٥: ١٨١، ١٨٩، جامع الترمذي ٢: ٣٠٨، ٣٢٨: ٥ ح ٣٨٧٤، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٢١، كنز العمال ١: ٤٤٤، ٤٧، ٤٨، صحيح مسلم: باب فضائل علي عليه السلام، سنن الدارمي ٢: ٤٣١، الصواعق المحرقة: ٨٩، الطبقات الكبرى لابن سعد القسم الثاني ٢: ٢، فيض القدير للمناوي ٣: ١٤، حلية الأولياء ١: ٣٥٥، ح ٦٤، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، ١٦٤.

في حديث الثقلين :-

ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن  
تيف وعشرين صحابياً، وفي بعض تلك الطرق، أنّه قال ذلك  
بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه  
وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير  
خم، وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من  
الطائف... ولا تنافي. إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك  
المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعتره  
الطاهرة<sup>(١)</sup>.

يمكننا أن نستخلص من نصوص الحديث ومن تعليق  
ابن حجر: أنّ النبي ﷺ قد بين بوضوح من تتمثل فيه  
المرجعية الدينية من بعده، ونصّ بذلك على مرجعية عترته  
وأهل بيته، واعتبرهم قُرْناً للكتاب العزيز الذي لا يأتيه  
الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالقرآن هو المصدر الأول  
للشريعة، وهو الثقل الأكبر، وأهل بيته صلى الله عليه وآله هم  
المصدر الثاني لها وهم الثقل الأصغر، وفي تكرار الإشارة  
إليهم وترديد ذلك في عدة مناسبات دلالة على عظيم أهمية

(١) الصواعق المحرقة: ٢٣٠ - ٢٣١.

هذا الأمر، وإتاحة الفرصة لمن لم يسمع بالسماع، وتذكير لمن سمع.

ولكن النبي ﷺ لم يكتف بهذا النص على أهل بيته، بل حسم الأمر بشكل أكثر وضوحاً، حيث أخرج المحدثون أنّ أباذر الغفاري رضي الله عنه، كان يقول وهو أخذ بباب الكعبة: أيها الناس، من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبوذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»<sup>(١)</sup>.

وفي نص آخر عن ابن عباس وغيره، أنّ النبي ﷺ قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»<sup>(٢)</sup>.

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ٣: ٢٤٣ و ٣: ١٥٠، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، كنز العمال ٦: ٢١٦، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨، حلية الأولياء ٤: ٣٠٦، تاريخ بغداد للخطيب ١٢: ١٩، ذخائر العقبى للمحب الطبري: ٢٠، كنوز الحقائق: ١٣٢، وفيض القدير للمناوي ٤: ٣٥٦، الصواعق المحرقة: ٣٥٢، وورد في بعض هذه الروايات: إنهم باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٤٩، ٤٥٨، وقال: هذا حديث صحيح

وصرح في بعضها قوله ﷺ، عن الثقلين «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»<sup>(١)</sup>.

وقد أكد ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في مواضع من خطبه، منها قوله عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يُخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبّدوا فالبّدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «... فمن الموثوق به على إِبَاحِ الحجة وتأويل الحكم إلّا أعدل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين احتجّ الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدىً من غير حجة؟! هل تعرفونهم أو تجدونهم إلّا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وبرّاهم من الآفات،

→ الإسناد، كنز العمال ١١٦:٦، الصواعق المحرقة: ٣٥٣، مجمع الزوائد ٩: ١٧٤، فيض القدير للمناوي ٦: ٢٩٧، ذخائر العقبى للمحب الطبري: ١٧.

(١) الصواعق المحرقة: ٢٣٠.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٩٠ ط دار الأندلس.



وافترض مودّتهم في الكتاب؟!»<sup>(١)</sup>.

فتبين ممّا سبق أنّ النبي ﷺ قد عيّن - بلا ريب - لأُمته من بعده من ترجع إليه، وهم أهل بيته ﷺ وأكّد على وجوب التمسك بهم مع القرآن، بل وأنذر بأنّ التخلف عنهم، أو مخالفتهم والإعراض عنهم يؤدي إلى الهلكة، والوقوع في الضلال.

ولو سألت: ما الذي جعل النبي ﷺ يحصر هذه المرجعية الدينية في أهل بيته؟

إنّ التسليم بأنّ النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، معناه أن يكون عمله هذا بأمر من الله سبحانه وتعالى، والله قد خصّ أهل البيت ﷺ بمواهب تؤهلهم لهذه المهمة الخطيرة.

كما تدلّ محكمات كتابه على ذلك منها قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٢)</sup>.

فأثبت الله سبحانه لهم الطهارة والخلوص من كلّ العيوب التي يتّصف بها معظم البشر، وطهارتهم هذه تستلزم عصمتهم من الذنوب والعيوب والزلل، ومنها الكذب، أو

(١) الصواعق المحرقة: ٢٣٣.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

التقول على الله وادعاء ما لا يصح عليه.  
ومن جهة أخرى فقد أثبت النبي ﷺ لهم صفات أخرى  
مثل كونهم أعلم الأمة بشريعة الله تعالى، وهذا يستلزم  
مرجعيتهم للأمة.

وفي حث النبي ﷺ على الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم،  
وعدم التقدم عليهم أو التأخر عنهم، وعدم تعليمهم، ما يثبت  
لهم الكفاءة لهذا المنصب المهم، ولا يمكن أن يكون ذلك  
محابة لهم؛ إذ النبي ﷺ لم يحاب عمه أبا لهب رغم قرابته له.

### هوية أهل البيت عليه السلام

لقد حاول البعض أن يدخل في أهل البيت عليه السلام من ليس  
منهم، وقد تصرف النبي ﷺ في عدة مواضع بما يرفع الريب  
ويدفع سائر الاحتمالات ويجعل هوية أهل البيت محددة  
وواضحة للعيان، فقد أخرج المحدثون عن عدد من الصحابة  
روايات تتضمن ذلك بشكل واضح، منها ما جاء عن أم  
المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ، قال  
لفاطمة عليها السلام: «أنتي بزواجك وابنيك»، فجاءت بهم فألقى  
عليهم كساءً فديكياً، ثم وضع يده عليهم، ثم قال: «اللهم  
إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد

وعلى آل محمد إنك حميد مجيد»، قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال: «إنك على خير»<sup>(١)</sup>.

وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمور التي لا خلاف فيها أنّ النبي ﷺ، قد باهل وفد نجران بهذه المجموعة نفسها، فقد أخرج المحدثون والمفسرون عن عدد من الصحابة، منهم سعد بن أبي وقاص، أنه لما أنزل الله هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾

(١) مسند أحمد ٦: ٢٩٦، ٣٢٣، المستدرک ٣: ١٠٨، ١٤٧، كنز العمال ٧: ١٠٢، ٢١٧، مجمع الزوائد ٩: ١٦٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، المستدرک على الصحيحين ٣: ١٤٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، سنن البيهقي ٢: ١٤٩، تفسير الطبري ٥: ٢٢، وأوردها الفخر الرازي في تفسير آية المباهلة وقال: واعلم أنّ هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث، جامع الترمذي ٢: ٢٠٩، ٣١٩، مسند أحمد ٦: ٣٠٦، أسد الغابة ٤: ٢٩.

وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّهِلُ فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» (٢).

وقد يسأل سائل: إذا كان أهل البيت هم هؤلاء، فلم قالت الشيعة الإمامية الاثني عشرية بأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، هم اثنا عشر إماماً؟

والجواب: أن النصوص التي جاءت عن النبي ﷺ في صدد تحديد خلفائه قد حددتهم بهذا العدد، فقد أخرج المحدثون والحفاظ - واللفظ للبخاري - عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم اسمعها، فقال أبي إنه قال: «كلهم من قریش» (٣).

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) جامع الترمذي ١٦٦:٢، المستدرک علی الصحيحین ١٥٠:٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، صحيح مسلم: باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، سنن البيهقي ٦٣:٧، أسباب النزول للواحدي: ٧٥ وجميع المفسرين.

(٣) صحيح البخاري ١٠١:٩ كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، سنن الترمذي ٥٠١:٤، سنن أبي داود ١٠٦:٤، المعجم الكبير ١٩٦:٢، وفي بعضها لفظ: خليفة، رجل، قيم.

### النص من شروط المرجعية الشاملة

لقد أوردنا فيما سبق الأدلة التي تثبت لأهل البيت عليهم السلام جدارتهم في التصدي للمرجعية الدينية الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقدّمنا بعض الشواهد على كفاءتهم لهذه المهمة بإشارات ونصوص صريحة من القرآن الكريم ومن أقوال النبي صلى الله عليه وآله. وقد ذكرنا فيما سبق أنّ المرجعية الدينية في الإسلام لا تنفصل عن ممارسة القيادة السياسية، وقد مارس الرسول صلى الله عليه وآله ذلك وعلى الأخصّ بعد هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة، وأدرك المسلمون هذا التلاحم بين السلطين الدينية السياسية، فكان النصّ منه على المرجعية الدينية لا بد وأن ينسحب على المرجعية السياسية أيضاً، وعلى هذا الأساس عيّن النبي صلى الله عليه وآله الحاكم الأول من بعده، كما عيّن من يليه، ومن ثم أخذت الأمور مجراها، حيث تولّى كل منهم النصّ على من بعده أيضاً كما أخبره الرسول صلى الله عليه وآله. وعندما نستعرض السيرة النبوية الشريفة، نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أولى هذه القضية عناية خاصة منذ بدء الرسالة، حيث اهتمّ بإعداد القائد الذي سيخلفه على أمر أمته من بعده، وقد شاءت العناية الإلهية أن تتهيأ الأسباب لهذه التربية النبوية حتى قبل أن يصدع النبيّ برسالته، ويصف لنا ابن

اسحاق - فيما ينقل عنه ابن هشام - ذلك بقوله : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له وأراد به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ، للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم - : يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه. فقال العباس : نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه .. فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه علي عليه السلام وآمن به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه<sup>(١)</sup>.

وقد أشار النبي ﷺ إلى مسألة سبق علي عليه السلام إلى الإيمان والإسلام، ضمن إشارات كثيرة إلى دوره المستقبلي، الذي كان يعدّه للقيام به، فقال - كما عن سلمان وأبي ذر رضي الله

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٦:١، المستدرک علی الصحیحین ٥٧٦:٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩٨:١٣ عن الطبري ٣١٣:٢.

عنهما - : «إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهو أوّل من يضافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرّق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

وقد أشار علي بن أبي طالب عليه السلام الى دور هذه التربية النبوية العظيمة له منذ نعومة أظفاره في تكوين شخصيته وإعدادها للأمور العظيمة، فقال في خطبة له عليه السلام: «أنا وضعت بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمنني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويُسَمِّي عرْفه، وكان يمضغ الشيء ثم يُلْقِمْنِيهِ، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لُدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٦٩:٦ ح ٦١٨٤، كنز العمال ٦١٦:١١ ح ٣٢٩٩، تاريخ دمشق ١٣٠:١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢٢٨:١٣.

رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ، فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلی خبر»<sup>(١)</sup>.

### النصوص النبوية على الاستخلاف

لقد كانت مسألة الاستخلاف من الأمور التي طال الجدل والمناظرة حولها بين مختلف الفرق الإسلامية وبخاصة بين الجمهور القائلين بعدم وجود نص صريح من النبي ﷺ على أحد حول الخلافة والإمامة من بعده، وقد حاولوا سد هذه الثلمة زاعمين بأنه ترك الأمر للأمة لتختار لنفسها ما تشاء، وبين الشيعة الذين قالوا بوجود هذا النص منه ﷺ على علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن النبي ﷺ قد نصبه علماً وهادياً للأمة وإماماً لها من بعده.

وحين نستعرض سيرة النبي ﷺ، نجده كان يعطي أهمية عظيمة للإمارة والخلافة، حتى في أبسط المواقف،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٣: ١٩٧.



حيث يدعو الرجلين المسافرين الى تأمير أحدهما، وهو لا يغادر المدينة في غزو أو سفر إلا ويستخلف أحداً عليها، يعينه بنفسه ولا يترك الأمر للناس ليختاروا من يشاؤون، فإذا كان النبي ﷺ يهتم هذا الاهتمام بمسألة الاستخلاف في حياته، فحريّ به أن يهتم بهذا الأمر الخطير لما بعد وفاته، لما ستركه بعد رحيله من فراغ كبير في حياة الأمة.

وقد تنبّه لهذا الأمر جلّ المسلمين، فهذا أبو بكر يستخلف عمر بن الخطاب بأمر منه على نحو الالتزام ولا يترك للأمة أن تقرر نيابة عنه ذلك، وهذا عمر بن الخطاب يقرّ أنه لو كان سالم مولى أبي حذيفة، أو أبو عبيدة بن الجراح حيّين لاختار أحدهما، واستخلفه دون تردد، وهو مع ذلك لم يترك الأمور لاختيار الأمة بشكل مطلق، حيث حصر الأمر في ستة رشحهم بنفسه وأمر باختيار أحدهم لمنصب الخلافة من بعده.

ولا يمكننا أن نتصور أنّ هؤلاء الصحابة قد أدركوا أهمية الاستخلاف والنبي ﷺ قد غفل عن ذلك أو لم يدرك أهميته، وهو أعقل الناس وأحرص منهم على مصالح الرسالة والأمة دون تردد.

وعندما نعود ونستعرض هذه السيرة المباركة للنبي ﷺ،

تطالعنا نصوص كثيرة تفيد أنه لم يكن قد أهمل هذا الأمر الخطير المتعلق بمستقبل الأمة، وأنه قد حدّد ملامح هذه المرجعية الرائدة مثلما حدّد المرجعية الرائدة، وكان ذلك في بدايات الدعوة الإسلامية، فقد ذكرت لنا مصادر الجمهور، أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وكان ذلك في السنة الثالثة من البعثة النبوية الشريفة، دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له: «يا علي! إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الأمر، أرى منهم ما أكره، فصمتُ عليه حتى جاءني جبرئيل، فقال: يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عسّاً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به».

[قال] ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبوطالب، وحمزة، والعباس، وأبولهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ

(١) الشعراء: ٢١٤.

حذية من اللحم فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: «خذوا باسم الله»، فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجة. وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: «اسق القوم»، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رروا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بذره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهذ ما سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال الغد: «يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم لي».

قال: ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة، ثم قال: «اسقهم» فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رروا جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبدالمطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟»

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت - وإني لأصغرهم سنّاً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً - : أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه! فأخذ برقبتي، ثم قال: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا».

قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!<sup>(١)</sup>

إنّ هذا النص الذي يطالعهنا في بداية الدعوة الإسلامية تجده متضمناً لهذه العبارات الصريحة، والتي بلغ من صراحتها ودلالاتها أنّ بعض المؤرخين والمؤلفين قد قاموا بحذفها كلياً أو قاموا بحذف الأجزاء المهمة منها، لتؤكد على

(١) تاريخ الطبري ٣١٩:٢، الكامل لابن الأثير ٦٢:٢، كما أخرج عدد من المؤرخين والحفاظ ولكن بتغيير بعض ألفاظه كقولهم: «يا بني عبدالمطلب، إني قد جئكم بأمر الدنيا والآخرة» كما في تاريخ الإسلام للذهبي، السيرة: ١٤٥، دلائل النبوة للبيهقي ٤٢٨:١، مجمع الزوائد ١١٣:٩، وفي بعضها: «فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي»، انظر المنتظم لابن الجوزي ٣٧٦:٢، وفي بعضها: «على أن يكون أخي وكذا وكذا»، كما في البداية والنهاية لابن كثير ٥٣:٣، وكذلك تفسير ابن كثير لآية الإنذار من سورة الشعراء، وتفسير الطبري لها! كما ذكرها محمد حسين هيكل في الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمد)، ولكنه عاد وحذفها من الطبقات اللاحقة.

أن النبي ﷺ قد نصّ على خليفته من بعده، وألزمهم طاعته، حتى ضحكوا من أبي طالب وتهكّموا عليه بضرورة اطاعته لابنه.

### نصوص نبوية أخرى

دأب النبي ﷺ على الإشادة بعلي بن أبي طالب عليه السلام من خلال نصوص، تظهر للناس مكانته عند النبي ﷺ، تهيئةً للأذهان لما يريد منه في مستقبل الرسالة، فوجه المسلمين إلى أخوة علي عليه السلام واختصاصه به في بداية الهجرة، فقد أخرج الحفاظ - واللفظ لابن هشام - عن ابن اسحاق قال: وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه المهاجرين والأنصار، فقال: «تآخوا في الله أخوين أخوين»، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: «هذا أخي»، فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين - الذي ليس له خطير ولا نظير في العباد - وعلي بن أبي طالب عليه السلام أخوين<sup>(١)</sup>...

(١) السيرة النبوية ١: ٥٠٤، جامع الترمذي ٥: ٥٩٥ ح ٣٧٢٠، المستدرک على الصحيحين ٣: ١٦ ح ٤٢٨٩، الطبقات الكبرى ٢: ٦٠، السيرة الحلبية ٢: ٢٠، مصابيح السنة ٤: ١٧٣ ح ٤٧٦٩، مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٦ ح ٣٥٦ ح ٢٠: ٢  
←

وفي السنة التاسعة من الهجرة، خرج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك، وخلف علي بن أبي طالب عليه السلام على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة -أخا بني غفار- فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون، أخذ عليّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجرف فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني! فقال: «كذبوا، ولكني إنما خلفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي».

فرجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره<sup>(١)</sup>.

→ ٢٦٠٩، الرياض النضرة ٣: ١١١، ١٦٤، الفضائل لأحمد بن حنبل: ٩٤ ح ١٤١، تاريخ دمشق ١٢: ١٣٦، تذكرة الخواص: ٢٤ وصححه، كنز العمال ١٣: ١٠٦ ح ٣٦٣٤٥، مسند أبي يعلى ١: ٣٤٧ ح ٤٤٥.

(١) تاريخ الطبري ٣: ١٠٣، الكامل لابن الأثير ٢: ٢٧٨، صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، صحيح الترمذي ٢: ٣٠٠، مسند الطيالسي ١: ٢٩، حلية الأولياء ٧: ١٩٥، تاريخ بغداد ١: ٣٢٤

وبذلك أثبت النبي ﷺ لعلي عليه السلام كل مراتب هارون من موسى كالوزارة وخلافته على قومه باستثناء النبوة.

### مهمة التبليغ عن النبي ﷺ

لم يكتف النبي ﷺ بما ذكرنا من مواقف كاشفة عن كفاءة علي عليه السلام وجدارته، بل إنه أراد أن يبين لأصحابه، تميزه عليهم جميعاً في التبليغ عنه ﷺ، فقد أجمعت الأخبار على أنه في العام التاسع للهجرة، بعث رسول الله ﷺ أبا بكر بسورة براءة إلى أهل مكة، ثم أتبعه بعلي عليه السلام، فقال له: خذ الكتاب فامض به إلى أهل مكة. فلحقه فأخذ الكتاب منه فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال لرسول الله ﷺ: أنزل في شيء؟ قال: «لا، إلا أني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي»<sup>(١)</sup>.

→ و ٢٠٤:٤، و ٣٩٤:٩، خصائص النسائي: ١٤ و ١٥، المستدرک علی الصحیحین ٣٣٧:٢، مسند أحمد ١٧٠:١ - ١٧٥ و ١٧٧، ١٨٤، ٣٣٠ و ٣٦٩:٦، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣ قسم ١ ص ١٤ و ١٥، أسد الغابة ٨:٥، كنز العمال ١٥٤:٣ و ٤٠:٥ و ١٥٤:٦، ١٥٦، ٣٩٥، ٤٠٥ و ٢١٥:٨، مجمع الزوائد ١٠٩:٩، ١١٠، ١١١، الرياض النضرة ١٦٢:٢، ١٦٤، ١٩٥، ذخائر العقبى: ١٢٠.

(١) الخصائص للنسائي: ٢٠، صحيح الترمذي ٢٥٧:٥ ح ٣٠٩١، مسند أحمد

←

**علي وليكم بعدي:**

كانت النصوص تتوالى من النبي ﷺ في علي بن أبي طالب عليه السلام على مرّ الأيام والسنين، وكان النبي ﷺ يصريح في بعضها بما لا يدع مجالاً للتشكيك في مقصده، وقد تمثل ذلك في تصريحه بولاية علي عليه السلام على المسلمين كافة، فعن بريدة، قال: بعث رسول الله ﷺ علياً أميراً على اليمن، وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: «إن اجتمعتما فعليّ على الناس» فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ عليّ جارية من الخمس، فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: اغتتمها، فأخبر النبي ﷺ بما صنع، فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله ﷺ في منزله، وناس من أصحابه على بابه، فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خيراً، فتح الله عليّ

→ ٣: ٢٨٣، ١: ٣، ١٥١، ٣٣٠، كنز العمال ١: ٢٤٦، تفسير الطبري ١٠: ٤٦، ٤٧، المستدرک ٣: ٥١، فتح القدير ٢: ٣٣٤، الرياض النضرة ٣: ١١٩، البداية والنهاية ٥: ٤٤ حوادث سنة ٩ هـ و ٧: ٣٩٤ حوادث سنة ٤٠ هـ، تاريخ الطبري حوادث سنة ٩ هـ الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٩ هـ، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٢٨ ح ٨٤٦١، الأموال لأبي عبيد: ٢١٥ ح ٤٥٧، تاريخ دمشق: ترجمة الإمام عليه السلام رقم ٨٩٠، الدر المنثور ٤: ١٢٥، مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٦، شرح نهج البلاغة ١٢: ٤٦ خطبة ٢٢٣، المنتظم لابن الجوزي ٣: ٣٧٢.



المسلمين، فقالوا: ما أقدمك؟ قال: جارية أخذها عليّ من الخمس، فجئت لأخبر النبي ﷺ. فقالوا: فأخبر النبي ﷺ فإنه يسقط من عين رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يسمع الكلام، فخرج مغضباً وقال: «ما بال أقوام ينتقصون علياً؟! من ينتقص علياً فقد انتقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إنّ علياً مني وأنا منه، خلقت من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»، وقال: «يا بريدة، أما علمت أنّ لعلّي أكثر من الجارية التي أخذ؟ وإنّه وليكم بعدي». فقلت: يا رسول الله، بالصحة إلّا بسطت يدك حتى أبايك على الإسلام جديداً. قال: فما فارقتك حتى بايعته على الإسلام<sup>(١)</sup>.

(١) المعجم الأوسط للطبراني: ٦: ٢٣٢، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٢: ١٩١ وفيه أن بريدة، قال: فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب غضباً لم أره غضب مثله قط، إلّا يوم قريظة والنضير، فنظر إليّ فقال: «يا بريدة، إنّ علياً وليكم بعدي، فأحبّ علياً فإنّه يفعل ما يؤمر»، وقال عبدالله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة فقال: كتمك عبدالله بن بريدة بعض الحديث، إنّ رسول الله ﷺ قال له: «أنا فقت بعدي يا بريدة؟!»، مسند الطيالسي: ٣٦٠ ح ٢٧٥٢ وفيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلّي: «أنت ولي كل مؤمن من بعدي»، وأخرجه ابن عبد البر بنفسه ←

فالنبي ﷺ قد أثبت في هذا الحديث الصحيح  
الولاية المطلقة لعلي عليه السلام على كافة المسلمين دون استثناء،  
بما فيهم الشيخان أبوبكر وعمر، لأن النبي ﷺ لم يستثن  
أحداً.

### التتويج

لقد كانت مسألة الربط بين المرجعية الدينية والسلطة  
الزمنية من الأمور التي أكد عليها النبي ﷺ، وحاول أن يجعل  
الأمة تعيها وعياً تاماً، ومن ثم حاول توجيه أنظار الأمة إلى أن  
أهل بيته عليهم السلام هم المؤهلون لتولي هاتين المهمتين

→ السند في الاستيعاب: ٣: ١٠٩١، وقال: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته  
وثقة نقلته، وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف: ١٢: ٨٠ عن عمران بن  
حصين وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «ما تريدون من علي؟ ما تريدون من  
علي؟ علي مني وأنا من علي، وعلي ولي كل مؤمن بعدي»، وأخرجه  
أحمد في مسنده: ٤: ٤٣٨، ٥: ٣٥٦، وفيه: «دعوا علياً، دعوا علياً، إنَّ علياً  
مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي»، وانظر جامع الترمذي: ٥: ٦٣٢،  
خصائص النسائي: ١٠٩، مسند أبي يعلى: ١: ٢٩٣ ح ٣٥٥ وقال محققه:  
رجاله رجال الصحيح، كنز العمال: ١٣: ١٤٢، الرياض النضرة: ٣: ١٢٩،  
المعجم الكبير للطبراني: ١٨: ١٢٨، الأوسط: ٥: ٤٢٥، المستدرک:  
٣: ١١٠، تاريخ بغداد: ٤: ٣٣٩، تاريخ دمشق: ٤٢: ١٠٢، أسد الغابة:  
٣: ٦٠٤، كنز العمال: ١١: ٦٠٨.

الجسميتين في حفظ الشريعة، وإدارة الأمور في الدولة الفتية التي أنشأها، لذا فإنه كان يربط في أكثر المناسبات بين التمسك بأهل بيته وبين ولاية علي عليه السلام، باعتباره عميد أهل البيت من بعد النبي صلى الله عليه وآله. ولقد تجلّى ذلك على أتم وجه بعد عودة النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، - وقد أوردنا الحادثة عند الكلام على حديث الثقلين - وقلنا إن النبي قال فيه: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، ثم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن»، ثم أخذ بيد عليّ فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّ، اللهم وال من والاه، وعاد من عادته»<sup>(١)</sup>.

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢١٤:٥ نقلاً عن الذهبي: وصدر الحديث، متواتر، أتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قاله، وأما «اللهم وال من والاه» فزيادة قوية الإسناد، وقال ابن الجزري في أسنى المطالب: ٤٨ هذا حديث حسن من هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، متواتر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، هو متواتر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله رواه الجهم الغفير عن الجهم الغفير، وقال ابن حجر المكي في الصواعق المحرقة:

ثم قام النبي ﷺ ، فتوّج علي بن أبي طالب بعمامته (السحاب)، وقال له: «يا علي، العمائم تيجان العرب».

### مؤهلات الإمام علي عليه السلام للمرجعية:

لا شك أنّ اختيار النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام للمرجعية العامة للمسلمين من بعده لم يأتِ اعتباطاً ولا محاباة لابن عمّه أو لأنه زوج ابنته، فإنه لم يكن ليتصرف أو لينطق عن هوى نفسه، بل كان متبعاً لأمر ربّه في كلّ أموره، ولم تكن محاباة الأقرباء بأهمّ أو أعظم أهميّة عنده من أمر الأمة الإسلامية، التي حرص طيلة ما يقرب من ربع قرن على تكوينها وجاهد في سبيل ذلك، وتحمل من المشاق ما لا يوصف، حتى تكونت نواة هذه الدولة التي كان قدرها أن تفقد الإنسانية الى طريق الخير والصلاح في دنياها والفلاح في آخرها، فالنبي ﷺ كان حريصاً مشفقاً على أُمته، يرشدها في حياته الى ما ينفعها، فهل يكتفي بذلك ويتركها من بعده ترتطم باللجج دون أن يبين لها الطريق السليم الذي يأمن به

→ ١٨٧ رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً، وأن كثيراً من طرقه صحيح أو حسن.

عليها من الانحراف عن جادة الصواب والوقوع في متاهات الضلال؟! هذا ممّا لا يمكن تصوّره في حق النبي ﷺ، الذي نطق القرآن بأنّه: ﴿عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (١).

وعلى هذا فاختيار النبي ﷺ لعلي كان في الحقيقة اختياراً تابعاً لإرادة الله تعالى، كما اختار الله طالوت لما وهبه من بسطة في العلم وفي الجسم، علماً بأنّ الاصطفاء من عند الله سبحانه وهو أدرى بمصلحة عباده في اختيار القادة لهم.

ومن هذا المنطلق نقول: إنّ عليّاً عليه السلام كان قد حوى كلّ المواهب التي أهّلته للقيام بدوره القيادي، من العلم والشجاعة وغيرها، والوقائع تثبت كلّ ذلك، إذ طالما أصحر النبي ﷺ بتميّزه بهذه المواهب في كثير من أقواله وأفعاله.

## عليّ أعلم الأمة:

لا شك أنّ التصدي للمرجعية بشقيها الديني والزماني، يتطلب علماً غزيراً بأمور الدين والشريعة من جهة، وبأمور السياسة والقيادة من جهة أخرى. وقد أثبتت الشواهد أن عليّاً عليه السلام كان أعلم وأحكم وأقضى الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، شهد له بذلك النبي صلى الله عليه وآله أولاً، وشهد له الصحابة ثانياً، واثبتته الوقائع ثالثاً، فقد أخرج المحدثون عن ابن عباس وغيره، أنّ النبي صلى الله عليه وآله، قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»<sup>(٢)</sup>.

وهذه بعض الأحاديث التي كان النبي صلى الله عليه وآله يلفت بها نظر أمته إلى امتياز علي عليه السلام بالعلم الذي يؤهله للمرجعية

(١) المستدرک علی الصحیحین ١٢٦:٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، تاريخ بغداد ٣٤٨:٤، ١٢٧:٧، ٤٨:١١، ٤٩ وقال الخطيب: قال القاسم سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال هو صحيح، اسد الغابة ٢٢:٤، تهذيب التهذيب ٣٢٠:٦، ٢٧:٧، كنز العمال ١٥٢:٦، فيض القدير ٤٦:٣، مجمع الزوائد ١١٤:٩، الرياض النضرة ١٩٣:٢، كنوز الحقائق للمناوي: ٤٣، الصواعق المحرقة: ٧٣.

(٢) جامع الترمذي ٢٩٩:٢، حلية الاولياء ٦٤:١، كنز العمال ٤٠١:٦.

الإسلامية العامة من بعده. وقد ربط النبي ﷺ بين الأمرين بشكل واضح في حديث سلمان، إذ قال: قلت: إن لكل نبي وصياً، فمن وصيتك؟ فسكت عني، فلما كان بعد رأني فقال: «يا سلمان»، فأسرعت إليه وقلت: لبيك، قال: «تعلم من وصي موسى؟» [قلت]: نعم، يوشع بن نون. قال: «لم؟» قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذٍ، قال: «فإن وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup>. ولقد عتبر بعض الصحابة عن هذه الحقائق التي وعوها عن النبي ﷺ، وشاهدوا مصاديقها بأنفسهم، فقد سأل بعض الناس ابن عباس، فقالوا: أي رجل كان علي عليه السلام؟ فقال: كان ممثلاً جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة، مع قرابته من رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: لم كان صغو الناس - يعني ميلهم - إلى

(١) مجمع الزوائد ٩: ١١٣ وقال: رواه الطبراني، ولا يخفى أن سؤال النبي لسلمان عن سر وصاية يوشع لموسى كان بهدف إظهار أعلمية علي عليه السلام، والسيرة النبوية لابن اسحاق: ٨٢٥، باختلاف يسير في اللفظ، تحقيق الدكتور سهيل زكار.

(٢) الرياض النضرة ٢: ١٩٤ وقال: أخرجه أحمد في المناقب.

علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: يا ابن أخي، إنَّ علياً كان له ما شئت من ضرر قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشرة، والقِدَم في الإسلام، والصهر برسول الله والفقهِ في السنَّة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون <sup>(١)</sup>.

وعن عبد الملك بن سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا والله لا أعلم <sup>(٢)</sup>. وكان علي عليه السلام يقول: «سلوني عن كتاب الله، فإنَّه ليس من آية إلاَّ وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل» <sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس أنَّ عمر قال: أقضانا علي <sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٣٨:٧.

(٢) اسد الغابة ٢٢:٦، الاستيعاب ٤٦٢:٢، فيض القدير ٤٦:٣، الرياض النضرة ١٩٤:٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٢:٢ ص ١٠١ عن أبي الطفيل، تهذيب التهذيب ٣٣٧:٧، وقال فيه: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلاَّ أخبركم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاَّ وأنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار... الإصابة ٢٧٠:٤، الاستيعاب ٤٦٣:٢، تفسير الطبري ١١٦:٢٦، كنز العمال ٢٢٨:١.

(٤) صحيح البخاري. باب تفسير قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾، المستدرک ٣٠٥:٣، مسند أحمد ١١٣:٥، حلية الأولياء ٦٥:١.



وقال ابن مسعود: كنّا نتحدث أنّ أفضى أهل المدينة علي بن أبي طالب عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ولم يكن قول أحدهم إلا صادراً عن شهادة النبي صلى الله عليه وآله له، حيث قال: «أفضى أمتي علي» <sup>(٢)</sup>.

فهذه الأخبار - وهي غيظ من فيض - تثبت تحقق شرط الأعلمية لعلي عليه السلام، كما تحقق في طالوت من قبل، حتى اعترف خصوم علي عليه السلام له بهذه الفضيلة، فقد قال معاوية - عندما بلغه قتله -: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب <sup>(٣)</sup>.

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٣٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، طبقات ابن سعد: ٢ قسم ٢ ص ١٠٢، أسد الغابة ٤: ٢٢، نور الأبصار للشبلنجي: ٧٣.

(٢) الرياض النضرة ٢: ١٩٨، الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٨ أوورد عدة روايات عن عدد من الصحابة في هذا المعنى، وقال: وروي عن عمر من وجوه: علي أقضانا.

(٣) الاستيعاب ٢: ٤٦٣.

### عليّ أشجع الأمة

إنّ شجاعة عليّ عليه السلام وشدة بأسه ونكايته في العدو من الأمور التي لا يختلف عليها اثنان، وإنّ الأعداء لتشهد له بذلك قبل الأصدقاء، بل لقد أصبح هذا الأمر من الأمور المشهورة المتواترة التي تتناقلها الأجيال عبر القرون، فقد كان عليه السلام حامل لواء رسول الله ﷺ في كل زحف<sup>(١)</sup>.

### عليّ في بدر

وكان بلاؤه في بدر عظيماً حتى ذكرت كتب السيرة والتاريخ، أنه قتل معظم المشركين الذين صرعوا في تلك المعركة الفاصلة<sup>(٢)</sup>.

(١) المستدرک علی الصحیحین ١١١:٣ و ٤٩٩، الاستيعاب ١٧٣:٣، الطبقات الكبرى ١٥:٣، مسند احمد ٣٦٨:١، تهذيب التهذيب ٤٧٥:٣، أسد الغابة ٢٠:٤، كنز العمال ٢٩٥:٥، الرياض النضرة ١٩١:٢، مجمع الزوائد ٣٢١:٥، سنن البيهقي ٢٠٧:٦.

(٢) مغازي الواقدي ١٤٧:١ تسمية من قتل من المشركين ببدر، السيرة النبوية لابن هشام ٧٠٨:١.

### عليّ في أحد

وفي معركة أحد « كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء.. وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي .. فلما قتلهم أبصر النبي ﷺ جماعة من المشركين، فقال لعلي: «احمل عليهم» ففرّ قههم وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة آخرين ففرّ قههم وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة آخرين، فقال له: «احمل عليهم»، فحمل عليهم وفرّ قههم وقتل فيهم، فقال جبرائيل: يا رسول الله ﷺ، هذه المواساة! فقال رسول الله ﷺ: «إنه مني وأنا منه»، فقال جبرائيل: وأنا منكما؛ فسمعوا صوتاً: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي»! (١)

### علي في الخندق

وفي معركة الأحزاب، حفر المسلمون خندقاً بإشارة من

(١) تاريخ الطبري ٥١٤:٢، الكامل لابن الاثير ١٥٤:٢، سيرة ابن هشام ١٠٠:٢، الرياض النضرة ١٣٧:٣، المعجم الكبير للطبراني ٢٩٧:١ ح ٩٤١، تاريخ دمشق: ترجمة الامام علي عليه السلام كفاية الطالب للكنجي: ٢٢٧ باب ٦٩ عن الامام الباقر عليه السلام، مناقب الخوارزمي: ١٦٧ ح ٢٠٠، وقعة صفين: ٤٧٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥١:١٤ وقال: قد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة.

سلمان الفارسي، فامتنع المسلمون به، ولكن بقيت فيه مواضع غير حصينة جداً، «فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدّوهم محاصرههم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أنّ فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبدود ابن أبي قيس، أخو بني عامر بن لؤي.. وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار ابن الخطاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فهر، تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مرّوا بمنازل كنانة، فقالوا: تهيتوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إنّ هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها... ثم تيمّموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضرّبوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وطلع وخرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له: يا

عمرو، إنك كنت قد عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال: أجل. قال له علي: «فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام». قال: لا حاجة لي بذلك.

قال: «فإني أدعوك إلى النزال» فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك. فقال له علي: «لكنني والله أحب أن أقتلك» فحامي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي؛ فتنازلا وتجاولا، فقتله علي عليه السلام وخرجت خيلهم منهزمة<sup>(١)</sup>.

وقال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) في ذيل تفسير قوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال﴾<sup>(٢)</sup>: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ هذا الحرف ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعلي بن أبي طالب. كما أورد الذهبي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ﴿وكفى الله

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٤٤، تاريخ الطبري ٢: ٥٧٣، الكامل لابن الأثير ٢: ١٨١ المستدرک ٣: ٣٢.  
(٢) الأحزاب: ٢٥.

المؤمنين القتال ﴿١﴾ بعلي.

وكان المسلمون مشفقين من مبارزة عمرو بن عبد ود لما يعلمون من شدة بأسه، حتى أن النبي ﷺ أشفق من خروج علي لمبارزته. وقد فصل أبو جعفر الإسكافي - فيما يرويه عنه ابن أبي الحديد المعتزلي - في هذه الواقعة حال النبي ﷺ فيها، بما وجدته في السير والأخبار «من اشفاق رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وحذره عليه، ودعائه له بالحفظ والسلامة، حتى قال ﷺ يوم الخندق - وقد برز علي إلى عمرو - ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه: «اللهم إني أخذت مني حمزة يوم أحد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم علياً ﴿٢﴾ رب لا تذرنني فرداً وأنت خير الوارثين ﴿٣﴾»، وكذلك ظن به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً، في كلِّها يحجمون ويقدم علي، فيسأل الإذن له في البراز، حتى قال له رسول الله ﷺ: «إنه عمرو!»، فقال: «وأنا علي»، فأدناه وقتله وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه، ثم لم يزل ﷺ رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه،

(١) ميزان الاعتدال ١٧:٢.

(٢) الأنبياء: ٨٩.

والمسلمون صموت حوله، كأنما على رؤوسهم الطير، حتى ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أنّ علياً قتل عمراً، فكبر رسول الله ﷺ، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين، ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قُسمت فضيلة عليّ عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكُفِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، قال: بعلي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>.

### عليّ في خيبر

وفي العام السابع من الهجرة النبوية الشريفة، توجه النبي ﷺ على رأس جيشه لفتح حصون خيبر الحصينة وأرسل إليها بعض أصحابه فلم يصنعوا شيئاً، فعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل رسول الله ﷺ أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً

(١) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٨٣ - ٢٨٤.

شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أما والله لأُعطيَنها غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يأخذها عنوة»، قال: وليس ثمَّ عليّ عليه السلام، فتناولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك.

فأصبح، فجاء عليّ عليه السلام على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ، وهو أرمَد قد عصَّب عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ: «مالك؟» قال: رمدت بعد. فقال رسول الله ﷺ: «أدن مني»، فدنا منه فتفل في عينيه، فما وجعها حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية، فنهض بها معه وعليه حلة أرجوان حمراء قد أخرج خملها، فأتى خير، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول: قد علمت خير أني مرحب

شاكي السلاح بطل مجرب

فقال عليّ عليه السلام:

أنا الذي سمّنتني أمي حيدة  
أكيلكم بالسيف كيل السندرة  
ليث بغابات شديد قسورة



فاختلفا ضربتين، فبدره علي فضربه، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن، خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي ﷺ بآب كان عند الحصن فتتربس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. (١)

وقد أخرج المحدثون القصة أيضاً، فقد أخرج الحاكم عن علي بن أبي طالب، أنه قال (لأبي ليلى): يا أبا ليلى، أما كنت معنا بخيبر؟ قال: بلى. قال: فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى خيبر فसार بالناس وانهزم حتى رجع.

وعنه أيضاً قال: سار النبي ﷺ إلى خيبر، فلما أتاها بعث عمر ومعه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم، فقاتلوهم، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، فجاءوا يجبنونه ويجبنهم... (٢)

(١) تاريخ الطبري ١١:٣ حوادث سنة سبع للهجرة، غزوة خيبر. الكامل لابن الأثير ٢:٢١٩، سيرة ابن هشام ٢:٣٣٤.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣:٣٧ كتاب المغازی، وصحها ووافقه ←

**عليّ في حنين:**

وفي حنين، عندما أعجبت المسلمين كثرتهم، حيث خرج النبي ﷺ في عشرة آلاف من جنده الذين فتح بهم مكة وألفين من مسلمة الفتح. فحملت عليهم هوازن وحلفاؤها حملة شديدةً انهزمت منها جموع المسلمين على كثرتهم، وثبت النبي ﷺ في تسعة من أهله ورهطه الأذنين، وقد فر المسلمون كلهم، والنفر التسعة محدقون به: العباس أخذ بحكمة بغلته، وعليّ بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلة رسول الله ﷺ يمّنة ويسرة، وقد انهزم المهاجرون والأنصار... (١)

وعن أنس قال: لما كان يوم حنين، انهزم الناس عن رسول الله ﷺ إلا العباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن الحارث - يعني ابن عم النبي ﷺ - وأمر رسول الله ﷺ أن ينادى: يا أصحاب سورة البقرة، يا معشر الأنصار، ثم استمر النداء في بني الحرث بن الخزرج، فلما سمعوا النداء أقبلوا، فوالله ما شبهتهم إلا الابل تحن إلى أولادها، فلما التقوا، التحم القتال، فقال رسول الله ﷺ: «الآن حمي الوطيس» وأخذ كفاً

→ الذهبي في التلخيص.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٨:١٣.

من حصي أبيض فرمى به وقال: هزموا ورب الكعبة. وكان علي بن أبي طالب يومئذ أشد الناس قتالاً بين يديه.<sup>(١)</sup> فهذه المشاهد تشهد كلها لعلي عليه السلام بأنه كان رجل الحرب المقدام الذي يصلح أن يقود الأمة في أحلك الظروف، كما قاد طالوت أُمته للنصر، وأخرج جالوت ورهطه من أرض فلسطين، وأنهى تيه بني اسرائيل في الصحراء.

### أسباب الخلاف

ليس هدفنا الآن استعراض فضائل علي عليه السلام - وهي أكثر من أن تحصى، وقد صُنفت فيها كتب عديدة - بل هدفنا قبل كل شيء أن نوضح الدواعي الحقيقية التي دفعت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإشادة بعلي عليه السلام، وإظهار دوره المهم في حياة الأمة في السلم والحرب، والتي لا يمكن أن تكون مجرد محاباة لابن عمه وأهل بيته كما يتنا من قبل، بل إنَّ الهدف كان لفت انتباه أبناء الأمة إلى أهلية علي وأهل بيته عليهم السلام للقيام بمهام المرجعية الإسلامية من بعده، وبيان مدى تقبل الأمة لذلك والتي تباينت مواقف أفرادها بين التسليم المطلق لإرادة

(١) مجمع الزوائد ٦: ١٨٠ وقال رواة ابو يعلى والطبراني في الاوسط: ورجالها رجال الصحيح غير عمران بن دوار.

النبي ﷺ باعتبارها تستمد شرعيتها من وحي السماء، وبين ما كان يجول في خواطر أفراد آخرين من أن النبي ﷺ ربما كان يحابي ابن عمه وأهل بيته ﷺ، وبالتالي تصوّروا أن لهم الحق في إبداء الرأي أو حتى الاعتراض الذي ربما كان ناجماً في بعض الأحيان عن احساس بالحسد الذي قلما ينجو منه أفراد البشر. وليس ما نقوله هو مجرد ادعاء غير مستند الى الحقائق، بل إن الأخبار متوافرة على إثبات هذه الحقيقة، وقد مرّ فيما سبق رواية عن بريدة تؤكد أن خالد بن الوليد قد أرسله ليشكو علياً عليه السلام للنبي ﷺ، ويبدو أنه كان يتحين مثل هذه الفرصة، لذا قال خالد لبريدة: إغتنمها، كما تبين الأمر في أقوال الصحابة الذين حثوا بريدة على هذه الشكاية وأعلموه بأن ذلك يسقط علياً عليه السلام من عيني النبي ﷺ، ممّا جعل النبي ﷺ يخرج عليهم مغضباً ويخبرهم بأن من يؤذي علياً فأتما يؤذي شخصه الكريم ﷺ.

وجاء عن جابر: قام رسول الله ﷺ الى علي بن أبي طالب يوم الطائف واطال مناجاته فرأى الكراهية في وجه رجال، فقالوا: قد أطل مناجاته منذ اليوم، فقال: «ما انتجيته،

ولكن الله انتجاه»<sup>(١)</sup>.

وعن زيد بن أرقم، قال: كانت لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة من المسجد، فقال يوماً: «سدّوا هذه الأبواب إلّا باب علي» فتكلم في ذلك ناس، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، والله ما سدّدت شيئاً ولا فتحت، ولكن أمرت بشيء فاتبعته»<sup>(٢)</sup>.

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: كنت جالساً في المسجد، أنا ورجلين معي، فنلنا من علي، فأقبل رسول الله ﷺ غضبان، يعرف في وجهه الغضب، فتعوذت بالله من غضبه، فقال: «ما لكم ومالي؟! من آذى علياً فقد آذاني»<sup>(٣)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب قال: «بينما رسول الله ﷺ آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، إذ أتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله ﷺ، ما أحسنها من حديقة! فقال: «إنّ لك في الجنة أحسن منها..»، فلما خلا لي الطريق اعتنقني ثم

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٨٦:٢، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣١٢:٢.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ١٥:٣.

(٣) مجمع الزوائد ٢٩:٩ وقال: رواه أبو يعلى والبزار باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير محمود بن خدّاش وقنان، وهما ثقتان.

أجهش باكياً، قلت: يا رسول الله ﷺ، ما يبكيك؟! قال: «ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي»، قال: قلت يا رسول الله ﷺ، في سلامة من ديني؟ قال: «في سلامة من دينك»<sup>(١)</sup>.

وعن حيان الأسدي قال: سمعت علياً يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي. وتقتل على سنتي، من أحببك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا»، يعني لحيته من رأسه.<sup>(٢)</sup>

لقد كانت الأرضية النفسية المعقدة تستعد لمحاولة صرف الخلافة عن أهل البيت ﷺ، وكان الحسد أحد الأسباب التي جعلت مسألة جمع الخلافة والنبوة في بني هاشم من الأمور التي لا تستسيغها نفوس أقوام استعظمت اجتماع الأمرين في بيت واحد من قريش، رغم علم هؤلاء بأن هذا البيت هو الأحق بذلك، وقد تبين هذا الموقف جلياً في عدة محاورات جرت بين ابن عباس والخليفة الثاني، فقد روى عبد الله بن عمر، قال: كنت عند أبي يوماً وعنده نفر

(١) مجمع الزوائد ٩: ١١٨.

(٢) المستدرک ٣: ١٤٢، صححه وواقفه الذهبي.

من الناس، فجرئى ذكر الشعر، فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا:  
 فلان وفلان، فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس، فقال  
 عمر: قد جاء الخبير! من أشعر الناس يا عبدالله؟ قال: زهير بن  
 أبي سلمى. قال: فانشد مما تستجيده له، فقال: يا أمير  
 المؤمنين، إنه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنوسنان، فقال:  
 لو كان يقعد فوق الشمس من كرم  
 قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا  
 قوم أبوهم سنان حين تنسبهم  
 طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا  
 إنس إذا أمنوا، جنّ إذا فزعوا  
 مرزؤون بهاليل إذا جهدوا  
 محسدون على ما كان من نعم  
 لا ينزع<sup>(١)</sup> الله منهم ما له حسدوا  
 فقال: والله لقد أحسن، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا  
 البيت من هاشم، لقرابتهم من رسول الله ﷺ. فقال ابن  
 عباس: وقفك الله يا أمير المؤمنين، فلم تنزل موقفاً. فقال:  
 يابن عباس! أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير

(١) في المصدر (لا بنزع...) وهذه لا تلائم الوزن الشعري، والصحيح: لا  
 ينزع.

المؤمنين، قال: لكنني أدري، قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا جحفاً، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووقفت فأصابته. فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء، قال: أما قول أمير المؤمنين: إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾<sup>(١)</sup> وأما قولك إنا كنا نجحف، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى: ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾<sup>(٢)</sup>، وقال له: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾<sup>(٣)</sup>. وأما قولك: فإن قريشاً اختارت، فإن الله تعالى يقول: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾<sup>(٤)</sup> وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها، لوقفت وأصابت قريش! فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس، أبت

---

(١) سورة محمد: ٩.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الشعراء: ٢١٥.

(٤) القصص: ٦٨.



قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول. فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تنسب هاشماً إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت، الذين قال الله تعالى لهم: ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾<sup>(١)</sup> وأما قولك: حقداً فكيف لا يحقد من غُصِبَ شَيْئُهُ، ويراه في يد غيره!

فقال عمر: أما أنت يا ابن عباس، فقد بلغني عنك كلام أكره أن أُخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به، فإن يك باطلاً، فمثلي أمار الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإنّ منزلتي عندك لا تزول به. قال: بلغني أنّك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر منكم حسداً وظلماً، قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: حسداً، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود. وأما قولك ظلماً، فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو.

ثم قال: يا أمير المؤمنين! ألم تحتج العرب على العجم

(١) الأحزاب: ٣٣.

بحق رسول الله ﷺ! واحتجّت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ﷺ؟ فنحن أحق برسول الله من سائر قريش. فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك. فقام، فلما ولى هتف به عمر: أيها المنصرف، إني على ما كان منك لراعٍ حقك.

فالتفت ابن عباس فقال: إنّ لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله ، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع...<sup>(١)</sup>.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ من الحجج التي التمسها القوم لصرف الأمر عن علي عليه السلام، هو قتله رؤوس المشركين في معارك الإسلام الكبرى، ممّا يدل على أنّ القلوب كانت ما تزال منطوية على ضغائنها رغم اعتناق الإسلام، وقد صرح عثمان بن عفّان بذلك، فيما روى ابن عباس، قال: وقع بين عثمان وعلي عليه السلام كلام، فقال عثمان: ما أصنع إن كانت قريش لا تحبكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأنّ وجوههم شئف الذهب، تصرع أنفسهم قبل شفاههم!<sup>(٢)</sup>

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٢:١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢:٩.

### اجراءات خط الاجتهاد:

كانت تدابير (خط الاجتهاد في قبال النص) قوية وحاسمة في صرف الأمر عن أهل البيت عليهم السلام، وقد بدأت هذه الاجراءات قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فبعد حادثة الغدير، أصبح من الواضح أنّ النبي صلى الله عليه وآله يعدّ علياً عليه السلام لتولي أمر المرجعية الإسلامية المطلقة بعده، ليحلّ محلّ النبي صلى الله عليه وآله في إدارة شؤون البلاد السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية بأجمعها، ثم أراد النبي صلى الله عليه وآله بسبب مارآه من عصيان البعض وتقاعسهم في اللحاق ببعث أسامة - بدافع من الشعور بأن مرض النبي صلى الله عليه وآله قد يكون بداية النهاية لعصر الرسالة، وأنّ شخص النبي صلى الله عليه وآله سيختفي من الساحة، وبذلك يتحتم أن يحلّ شخص آخر محله - وكان أصحاب الخط الأول قد بدأوا يقلقون من الأمر فعلاً، فالنبي صلى الله عليه وآله يتهاى للانتقال إلى جوار ربه ويخلي الساحة، وهم يتهاون لمغادرة المدينة المنورة إلى أرض بعيدة ضمن حملة عسكرية لا يعرفون نتائجها بالنسبة إلى مصائرهم، وبما أنّ علياً ومؤيديه لم يكونوا من ضمن هذه الحملة، فالأمر الطبيعي أن يكتشف هؤلاء أنّ هذا التدبير من النبي صلى الله عليه وآله كان مقصوداً لذاته، فإبعاد المعارضة عن مركز الحكم سوف يهيء الجوّ الملائم لتولي علي عليه السلام مهام

الخلافة بعد رحيل النبي ﷺ بسهولة ويسر، حتى إذا عادت البعثة العسكرية من مهمتها بعد أيام متطاولة، يكون الأمر قد تمّ على أحسن وجه، وتمّت البيعة لعليّ عليه السلام واستقرت الأمور، فلا يبقى للمعارضة حينئذٍ إلا الإذعان للأمر الواقع، والدخول فيما دخل فيه الناس.

لقد أدرك أصحاب الخط المعارض هذه الحقيقة، فراحوا يتشاقلون في إرسال بعث أسامة. ورغم إلحاح النبي ﷺ على الإسراع في إرسال هذا الجيش، وقوله المستمر: «انفذوا بعث أسامة»، ممّا كان يعبر عن قلق النبي ﷺ من فشل تدبيره إذا عاجلته المنيّة قبل خروج البعث وابتعاد المعارضة عن مركز الحكم وانقطاع الأخبار عنها، ممّا دفع النبي ﷺ في نهاية الأمر إلى محاولة اتخاذ إجراء آخر يحسم به الموقف بشكل نهائي، ويعهد إلى عليّ عليه السلام بالأمر من بعده في صورة كتاب خطّي لا يمكن تأويله أو دفعه، فبادر إلى الطلب من أصحابه بأن يأتوه بالقرطاس والدواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلّون بعده كما مرّ خبره فيما سبق.

لم يكن من الصعب على خط الاجتهاد أن يكتشف فحوى هذا الكتاب، فالنبي ﷺ على فراش الموت، وفي مثل هذه الحالة فإنه لا يتوقع منه إلا أن يكون الكتاب الذي

يريد كتابته إنما هو وصيته - كما هو متوقع - ولم يكن كلام النبي ﷺ ليدل على أن الوصية تتعلق بشؤون الميراث أو ما شابه ذلك، لأن قول النبي ﷺ: «لا تضلون بعده» يدل على أن الأمر يتعلق بمستقبل الأمة والدعوة الإسلامية، إذ الشريعة كانت متكاملة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك في قوله عز من قائل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾<sup>(١)</sup>.

وبمقارنة قول النبي ﷺ: «لا تضلون بعده» بقوله في حديث الثقلين: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»، أصبح من الواضح أن النبي إنما يريد الوصاية لأهل بيته من بعده، وفي طليعتهم عميدهم علي عليه السلام، فعندها تصدّى أصحاب الخط المعارض بكل حزم وقوة لإرادة النبي ﷺ، زاعمين أن النبي ﷺ يهذي - والعياذ بالله - بتأثير المرض<sup>(٢)</sup>.

ولم يجد النبي ﷺ - إزاء هذا التعسف - ما يفعله تعبيراً عن سخطه على هذا الأسلوب في المعارضة سوى أن يطرد

(١) المائدة: ٣.

(٢) من الواضح من الروايات أن عمر بن الخطاب قد قال: إن النبي ليهجر، أي يهذي، وقد أحس المحدثون بشناعة هذه الكلمة، فابدلوها في بعض الروايات التي تكشف عن أن القائل هو عمر، بعبارة: غلبه الوجع.

الجمع من مجلسه قائلاً لهم: «قوموا عني»!  
وليس هذا مجرد استنتاج من عندنا، فقد صرح عمر  
نفسه بذلك، فيما روى عنه ابن عباس، حيث قال: دخلت  
على عمر في أول خلافته، وقد ألقى له صاع من تمر على  
خضفة، فدعاني إلى الأكل، فأكلت ثمرة واحدة، وأقبل يأكل  
حتى أتى عليه، ثم شرب من جرّكان عنده، واستلقى على  
مرفقة له، وطفق يحمد الله، يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت  
يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال كيف خلفت ابن عمك؟  
فظننته يعني عبد الله بن جعفر، قلت: خلفته يلعب مع أترابه،  
قال: لم أعن ذلك، إني عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت:  
خلفته يمتح بالغرب<sup>(١)</sup> على نخيلات من فلان، وهو يقرأ  
القرآن، قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها؛ هل بقي  
في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن  
رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وازيدك، سألت أبي عمّا  
يدّعيه، فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ  
في أمره ذرو<sup>(٢)</sup> من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد

(١) المتح: جذبك الرشاء تمد بيد وتأخذ بيد على رأس البئر، كتاب العين ٣:

١٩٦، والغرب: الدلو.

(٢) ذرو: ارتفاع.

كان يرفع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصريح باسمه فمنعت من ذلك إشفافاً وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنية، لا تجتمع عليه قريش أبداً؛ ولو وليها لا نتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أنني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم.<sup>(١)</sup>

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ : ٢٠ - ٢١ وقال: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً.

## الفصل الثالث

### بذرة التشيع

في مقابل خط الاجتهاد الذي كان يرى عدم لزوم التسليم في كل الأمور لو صايا وتعليمات النبي ﷺ، كان هناك من يرى لزوم التعبد بكل النصوص الواردة عن النبي ﷺ، والالتزام بكل أوامره ونواهيه ووصاياه في أي أمر كان. سواء ما كان منها متعلقاً بأمر التشريع، أو ما كان متعلقاً بتسيير الأمور بعد رحيله ﷺ. وقد برز رجال يمثلون خط التعبد بالنص لعلهم كانوا لا يزدون على العشرات، ثم انضم إليهم آخرون.

ومن الطبيعي أن يكون أتباع النص قد استمدوا من النبي ﷺ شرعية مواقفهم فيما يتعلق بالمرجعية الدينية والسياسية في مرحلة ما بعد رسول الله ﷺ، ولم يكن موقفهم اجتهاداً شخصياً أو متعلقاً بمسألة ولاءات شخصية أو قبلية. فإن هذه الفئة قد وجدت - إضافة للنصوص النبوية - في



شخصية عليّ عليه السلام ملامح القائد الذي تؤهله مواهبه النفسية والخلقية لتسّم هذا المنصب الخطير الذي يتوقف عليه مستقبل الدعوة التي أسّس النبي ﷺ قواعدها وشاد بناءها، وصار لزاماً على من يأتي بعده أن يحافظ على هذا البناء النبوي ويصونه من رياح التغيير التي قد تعصف به نتيجة للظروف والأخطار التي أحاطت بالدعوة طيلة مسيرتها، والتي كان من أسبابها قرب عهد المسلمين بـماضيهم الجاهلي، واشتداد حركة النفاق بعد الهجرة، وانطواء بعض النفوس على ضغائن ولّدتها الحروب الطاحنة بين المسلمين وخصومهم الذين أصبح الكثير منهم محسوبين على الدعوة الإسلامية بعد فتح مكة بالخصوص، وهم الذين أسماهم النبي ﷺ بـ (الطلقاء) وتألّفهم بالمال وغيره طمعاً في إزالة سخائم نفوسهم على المسلمين وإسكاتاً لشبه نفوس بعضهم الآخر لأُمور الدنيا وحبّ زينتها، لعلم النبي ﷺ بأنّ معظم أولئك قد دخلوا الإسلام كرهاً بعد أن أسقط ما في أيديهم ولم يكن لهم بدٌّ من الاستسلام للواقع الجديد، ولكن إسلام معظم أولئك لم يكن تسليماً، فضلاً عن الأخطار التي كانت تتهدد مستقبل الدعوة من خارج الجزيرة العربية، والمتمثلة في وجود دول ذات جبروت وقوة ومن الطبيعي أن لا يروقها

تحوّل المسلمين إلى قوّة تهدّد أطرافها إن لم يكن يهدّد  
كيانها كله.

إذن ، فقد استمدّ خطّ التعبد بالنصّ المقابل لخطّ  
الاجتهاد أمام النصّ شرعية موقفه من شرعية موقف  
النبي ﷺ تجاه عليّ عليه السلام من جهة، ومن ملاحظته انطباق هذا  
الموقف النبوي على الواقع الخارجي لشخصية عليّ عليه السلام من  
جهة أخرى كقول النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن  
عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى  
عليّاً فقد عصاني»<sup>(١)</sup>. وقوله ﷺ: «أنا وعلي حجة الله على  
عباده»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «أوحى إليّ في ثلاث: إنه سيد المسلمين،  
وإمام المتّقين، وقائد الغر المحجلين»<sup>(٣)</sup>.

(١) المستدرک علی الصحیحین ١٢١:٣ عن أبي ذر وقال: هذا حديث  
صحيح الإسناد ١٢٨:٣، الرياض النضرة ١٦٧:٢.  
(٢) كنوز الحقائق للمناوي: ٤٣، تاريخ بغداد ٨٨:٢، الرياض  
النضرة ١٩٣:٢، ذخائر العقبين: ٧٧ وقال: أخرجه النقاش.  
(٣) المستدرک ١٣٧:٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، كنز العمال  
١٥٧:٦، الإصابة ٣٣: ٤، أسد الغابة ٦٩:١، ١١٦:٣، الرياض النضرة  
١٧٧:٢، حلية الأولياء ٦٦:١، تاريخ بغداد: ١٣: ١٢٢، الاستيعاب: ٢: ٦٥٧،  
مجمع الزوائد: ٩: ١٠٢، فيض القدير للمناوي: ٤: ٣٥٨ وغيرهم.

وقول النبي ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة».

وقوله وقد مرّ عليّ عليه السلام: «الحق مع ذا، الحق مع ذا»<sup>(١)</sup>. من هذه النصوص وأمثالها، فهم أولئك الأصحاب أنّ النبي ﷺ يثبت لعلّي عليه السلام أمراً بالغ الأهمية، وهو كونه عليّ الحق، ومع الحق وأنهما لا يفترقان، وقد مرّ فيما سبق أنّ النبي ﷺ قد قرن أهل بيته بالقرآن في حديث الثقلين، وأخبر بأنهما لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض، ثم خصّ النبي ﷺ علياً بذلك، فقال: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان القرآن حقّاً لا ريب فيه، وكان عليّ مع القرآن، فهو مع الحق بداهة، وطالما كان هو عليّ الحق، فإنّ أتباعه يصبح واجباً، لوجوب اتباع الحق.

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١، المستدرک ٣: ١١٩، ١٢٤، جامع الترمذي ٢: ٢٩٨، مجمع الزوائد ٩: ١٣٤، ٧: ٢٣٥، وقال الفخر الرازي: أما إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالبسملة، فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار»، التفسير الكبير ١: ٢٠٤، مبحث الجهر بالبسملة.

(٢) المستدرک ٣: ١٢٤، مجمع الزوائد ٩: ١٢٤، كنز العمال ٦: ١٥٣، فيض القدير ٤: ٣٥٦.

كانت هذه أهم الأدلة التي جعلت أولئك الأصحاب من أتباع النص يرون ضرورة التمسك بعلي وضرورة اتباعه وعدم جواز مخالفته، وكانت مواقفهم واضحة حتى في زمن النبي ﷺ.

قال محمد كرد علي: «عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله ﷺ، مثل سلمان الفارسي، القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين، والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له.

ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: أمر الناس بخمس، فعملوا بأربع وتركوا واحدة. ولما سئل عن الأربع قال: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحج. قيل: فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب. قيل له: وإنها لمفروضة معهن؟! قال: نعم.

ومثل: أبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وخالدين سعيد بن العاص، وقيس بن سعد بن عبادة»<sup>(١)</sup>.

(١) خطط الشام ٥: ٢٥١.

ويميل إلى هذه الحقيقة الدكتور صبحي الصالح حيث يقول: كان بين الصحابة حتى في عهد النبي ﷺ شيعة لربيبه علي، منهم: أبوذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والعباس بن عبد المطلب وجميع بنيهم، وعمّار بن ياسر وأبو أيوب الأنصاري.<sup>(١)</sup>

ومصطلح (الشيعة) أيضاً لم يكن من الألفاظ المبتدعة في عصور متأخرة عن عصر النبي ﷺ، كما يحاول بعض الباحثين أن يوحي بذلك، فقد كان النبي يذكر تلك اللفظة بين حين وآخر، ليدل على أتباع علي عليه السلام، ويبشّرهم بأنهم على الحق، وأنهم الفائزون، وأنهم خير الناس، فقد أخرج المفسرون والحفاظ: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾ قال النبي ﷺ: «أنت يا علي وشيعتك».<sup>(٢)</sup>

(١) النظم الإسلامية: ٦٩.

(٢) تفسير الطبري ١٧١: ٣٠، الدر المنثور للسيوطي وقال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي عليه السلام، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

**وضوح الخط:**

كان الغالب على ظن أولئك الصحابة من شيعة علي عليه السلام، أن الأمر لن يخرج عن بني هاشم وعميدهم بعد تأكيدات النبي صلى الله عليه وآله، وحثه المستمر على التمسك بعلي وأهل بيته عليهم السلام، ولكن الأحداث المتسارعة في السقيفة قلبت الأوضاع رأساً على عقب، وكانت المفاجأة كبيرة لعلي عليه السلام وأتباعه، بما لم يكن يخطر على بال أحدهم، رغم وجود علامات كانت تشير إلى أن أصحاب خط الاجتهاد من قريش لم يكونوا مسلمين لإرادة النبي صلى الله عليه وآله في هذا الأمر، وقد قالها أحد أساطينهم صراحة لابن عباس، بأن قريشاً كرهت أن تجتمع الخلافة والنبوة في بني هاشم، فكانت الاجراءات المترتبة على هذه الكراهية، والتي ظهرت آثارها في سقيفة بني ساعدة.

---

→ البرية عليه السلام، فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إذا أقبل علي عليه السلام، قالوا: جاء خير البرية، وقال أيضاً: وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»، وذكر ابن مردويه أخرجه في تفسير الآية قوله صلى الله عليه وآله: «أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غراً محجلين».

ويبدو أنَّ إجراءات هذا الخط لم تكن خافية كَلَّ الخفاء على أتباع علي عليه السلام، فقد كان هناك شعور بين أفرادهم أنَّ قريشاً تدبّر أمراً ما في الخفاء لصرف هذا الأمر عن زعيمهم وأبنائه، حيث يصف لنا البراء بن عازب ذلك بقوله:

لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله ﷺ خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالدة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي ﷺ في الحجرة، وأتفقّد وجه قريش، فإنّي كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر؛ فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه وقدّموه فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أم أبنى؛ فأنكرت عقلي وخرجت أشتدّ حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة. فقال العباس: ترّبت أيديكم إلى آخر الدهر، أمّا إنّي قد أمرتكم فعصيتُموني.

فمكثتُ أكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد  
وسلمان وأباذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان  
وحذيفة وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين  
المهاجرين... (١).

بدأ خطّ المؤيدين لعلي عليه السلام يتضح أكثر فأكثر بعد حادثة  
السقيفة وبيعة أبي بكر المفاجئة، فكان هذا اللقاء المصغر  
الذي تحدّث عنه البراء، ثم أعقبه ذلك مراحل أخرى تمثّلت  
بإبداء الرأي والاعتراض على البيعة التي تمتّ فلتت وبغته،  
فكان مما قال سلمان: أصبتم ذا السنّ منكم، وأخطأتم أهل  
بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم إثنان،  
ولأكلتموها رغداً.

ولمّا أكثر الناس في تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر،  
واشتدّ أبوبكر وعمر عليه في ذلك خرجت أم مسطح بن  
أثاث، فوقفت عند القبر - يعني قبر النبي صلى الله عليه وآله - وقالت:  
كانت أمور وأنباء وهنبة  
لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطبُ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٩:١.



إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضَ وَابِلَهَا

وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَلَا تَغِبْ<sup>(١)</sup>

وقد مرّ فيما سبق عرض البراء بن عازب لبدايات أحداث السقيفة، وخروجه لملاقاة نفر من الصحابة وفيها تتمة قوله: فمكثت أكابد ما في نفسي، فلمّا كان بليلاً، خرجت إلى المسجد، فلمّا صرت فيه، تذكّرت أنّي كنت أسمع همهمة رسول الله ﷺ بالقرآن، فامتنعت من مكاني، فخرجت إلى الفضاء، فضاء بني بياضة، وأجد نفرًا يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا، فانصرف عنهم، فعرفوني وما أعرفهم، فدعوني إليهم فأتيتهم، فأجد المقداد ابن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان؛ وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكوننّ ما أخبركم به، والله ما كذبت ولا كذّبت، وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين .

ثم قال: اتّوا أبيّ بن كعب فقد علم كما علمت ، قال: فانطلقنا إلى أبيّ، فضربنا عليه بابه، حتى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد، فقال: ما حاجتكم؟ فقال له:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤٩-٥٠.

افتح عليك بابك فإنّ الأمر أعظم من أن يجري وراء حجاب.  
قال ما أنا بفاتح بابي، وقد عرفت ما جئتم له، كأنكم أردتم  
النظر في هذا العقد، فقلنا: نعم، فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا:  
نعم. قال: فالقول ما قال، وبالله لا افتح عني بابي حتى تجرئ  
على ماهي جارية، ولما يكون بعدها شرّ منها، وإلى الله  
المشتكى! (١).

ويبدو أنّ أبيتاً ظلّ يحمل هذا السرّ بين جوانحه حتى أراد  
أن يفشيه بعد ذلك بسنوات لو لا أن عاجلته المنيّة قبل ذلك  
يوم واحد، فعن عتي بن صخرة، قال: قلت لأبيّ بن كعب: ما  
شأنكم يا أصحاب رسول الله؟! نأتىكم من الغربة نرجو  
عندكم الخير فتهاونون بنا؟! قال: والله لئن عشت إلى هذه  
الجمعة لأقولنّ قولاً لأبالي استحييتموني أو قتلتموني.  
فلما كان يوم الجمعة خرجت فإذا أهل المدينة يمشون  
في سككها، فقلت: ما الخبر؟ قالوا: مات سيّد المسلمين أبيّ  
ابن كعب؟ (٢)

وفي رواية ابن سعد، قلت: والله إن رأيت كالיום في

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ٥١-٥٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١: ٣٩٩.

الستر أشد مما ستر هذا الرجل. (١)

وفي رواية الحاكم أن أبيتاً، قال: لئن أخرتني إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من رسول الله ﷺ، لا أخاف فيه لومة لائم. (٢)

قال اليعقوبي: وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم: العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب. (٣)

ولعلّ هذا قد دفع بعض الباحثين والمستشرقين إلى الاعتقاد بأنّ التشيع قد ولد بعد حادثة السقيفة، إذ يقول جولد تسيهر: نشأ بين كبار الصحابة منذ بدأت مشكلة الخلافة، حزب نقم على الطريقة التي أُنْتُخِبَ بها الخلفاء الثلاثة الأوّل، وهم: أبوبكر وعمر وعثمان، الذين لم يراع في انتخابهم درجة القرابة من أسرة النبي ﷺ، وقد فضّل هذا الحزب

(١) الطبقات الكبرى ٥٠١:٣.

(٢) المستدرک ٣٠٥:٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٢٤:٢.

بسبب هذا الاعتبار أن يختار للخلافة علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ وادنى قريب له، والذي كان - فضلاً عن ذلك - زوجاً لابنته فاطمة، ولم يجد هذا الحزب فرصة مواتية يسمع فيها صوته عالياً<sup>(١)</sup>.

وقدم خالد بن سعيد بن العاص، وكان النبي ﷺ قد استعمله على عمل - يعني صنعاء - ، فقدم بعدما قبض رسول الله ﷺ وقد بايع الناس أبابكر، فدعاه إلى البيعة. فأبى، فقال عمر: دعني وإياه، فمنعه أبوبكر حتى مضت عليه سنة، ثم مرّ به أبو بكر وهو جالس على بابه، فناداه خالد: يا أبابكر هل لك في البيعة؟ قال: نعم، فادن، فدنا منه فبايعه خالد وهو قاعد على بابه.<sup>(٢)</sup>

وقد استمرت معارضة الصحابة المؤيدين لعلي عليه السلام إلى أيام الشورى التي انتهت بتولية عثمان، وفي تلك الأيام التي سبقت التولية أظهر أولئك الصحابة موقفهم علناً، ففي اليوم الثالث - وهو اليوم الأخير من المهلة التي حددها عمر للاستشارة - قال عبد الرحمن بن عوف: أيها الناس، أشيروا

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام: ١٨٦، وانظر فجر الإسلام لأحمد أمين:

٢٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٤١، بحار الأنوار ٢٨: ٤٠٠.

عليّ في هذين الرجلين - يعني علياً وعثمان - ، فقال عمّار ابن ياسر: إن أردت ألا يختلف الناس، فبايع علياً عليه السلام . فقال المقداد: صدق عمّار، وإن بايعت علياً سمعنا وأطعنا.

فقال عبدالله بن أبي سرح<sup>(١)</sup>: إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان. وقال عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي: صدق، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا. فشتّم عمّار ابن أبي سرح وقال له: متى كنت تنصح

(١) عبدالله بن سعد بن أبي سرح، قال ابن عبد البر في ترجمته: أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم ارتدّ مشركاً، وصار إلى قريش مكة فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملئ عليّ: ﴿عزيز حكيم﴾ فأقول: أوّ عليم حكيم؟ فيقول: «نعم، كل صواب» فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله وقتل عبدالله بن خطل، ومقيس بن حبابه ولو وجدوا تحت أستار الكعبة. ففرّ عبدالله بن أبي سرح إلى عثمان، وكان أخاه في الرضاعة، أرضعت أمه عثمان، فغيبه عثمان حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما إطمأن أهل مكة، فاستأمنه له، فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً. ثم قال: «نعم». فلما انصرف عثمان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حضره: «ما صمتُ إلا ليقوم إليّ بعضكم فيضرب عنقه». وقال رجل من الأنصار: فهلاً أو مأت إليّ يا رسول الله؟ فقال: «إنّ النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين». الاستيعاب ٣: ٥٠ رقم ١٥٧١.

الإسلام؟!!

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، وقام عمار، فقال: أيها الناس،  
إن الله أكرمكم بنبيّه، وأعزكم بدينه، فإلى متى تصرفون هذا  
الأمر عن أهل بيت نبيكم؟!!

فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يابن  
سميّة، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها؟!!

فقال سعد: يا عبد الرحمن، افرغ من أمرك قبل أن يفتتن  
الناس. فحينئذ عرض عبد الرحمن على عليّ عليه السلام العمل  
بسيرة الشيخين، فقال: بل اجتهد برأيي، فبايع عثمان بعد أن  
عرض عليه، فقال: نعم.

فقال عليّ عليه السلام: ليس هذا بأوّل يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر  
جميل والله المستعان على ماتصفون، والله ما وليته الأمر إلا ليردّه  
إليك، والله كلّ يوم في شأن.

فقال عبد الرحمن: لا تجعلنّ على نفسك سبيلاً يا عليّ -  
وهو يقصد أمر عمر أبا طلحة أن يضرب عنق المخالف - فقام  
عليّ عليه السلام فخرج وقال: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال عمار: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته، وإنّه من  
الذين يقضون بالحق وبه كانوا يعدلون.

وقال المقداد: تالله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا

البيت بعد نبيهم، واعجبا لقريش! لقد تركت رجلاً ما أقول  
ولا أعلم أن أحداً أقضى بالعدل ولا أعلم ولا أتقى منه! أما والله  
لو أجد أعواناً!

فقال عبد الرحمن: اتق الله يا مقداد فإنني خائف عليك  
الفتنة.<sup>(١)</sup>

وبعد أن تم الأمر لعثمان، خرج المقداد من الغد، فلقني  
عبد الرحمن بن عوف، فأخذ بيده وقال: إن كنت أردت بما  
صنعت وجه الله، فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة، وإن كنت  
إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك.

فقال عبد الرحمن: اسمع رحمك الله، اسمع. قال: لا أسمع  
والله، وجذب يده من يده، ومضى حتى دخل على علي عليه السلام  
فقال: قم فقاتل نقاتل معك.

قال علي: «فبمن أقاتل رحمك الله؟!»

وأقبل عمار بن ياسر ينادي:

يا ناعي الإسلام قم فانه

قد مات عرف وبدا نكر

أما والله لو أن لي أعواناً لقاتلتهم، والله لئن قاتلهم واحد

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١٩٣-١٩٤.

لأكون ثانياً.

فقال علي: يا أبا اليقطان! والله لا أجد عليهم أعواناً، ولا أحب أن أُعرضكم لما لا تطيقون.<sup>(١)</sup>

ومن هنا يبدو أن معارضة الموالين لعلي عليه السلام قد بدأت تتخذ شكلاً أكثر عنفاً، حيث كان يصل أحياناً إلى الدعوة للنهوض لانتزاع الحق بعد أن فرغ صبر هؤلاء. ولو أطاع علي عليه السلام نداءاتهم لنهض بالأمر، ولكنه كان أبعد منهم نظراً وأكثر تقديراً للمخاطر المترتبة على ذلك. وأعرف بما يعتمل في نفوس مؤيدي خط الخلافة والذين كانوا يمثلون الأكثرية لأسباب ذكرها علي عليه السلام، وهي تتضح من رواية جندب بن عبد الله الأزدي.

قال جندب: دخلت مسجد رسول الله، فرأيت رجلاً جاثياً على ركبته يتلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبها، وهو يقول: واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم، وفيهم أول المؤمنين، وابن عم رسول الله، أعلم الناس وأفقههم في دين الله، وأعظمهم غناء في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم للصراط المستقيم، والله لقد زووها عن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٥:٩.



الهادي المهتدي الطاهر النقي، وما أرادوا إصلاحاً للأمة ولا صواباً في المذهب، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

فدنوت منه، فقلت: من أنت يرحمك الله؟ ومن هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد بن عمرو، وهذا الرجل علي بن أبي طالب. قال: فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال: يا بن أخي، إن هذا الأمر لا يجري فيه الرجل ولا الرجلان، ثم خرجت، فلقيت أباذر فذكرت له ذلك فقال: صدق أخي المقداد، ثم أتيت عبدالله بن مسعود فذكرت ذلك له فقال: لقد أخبرنا فلم نأل.<sup>(١)</sup>

وأورد ابن أبي الحديد الرواية باختلاف يسير<sup>(٢)</sup>.  
إلا أن الأحداث التي وقعت بعد ذلك في خلافة عثمان، والتي أدت إلى نقمة الناس عليه، قد فتحت أعين الناس على حقائق جديدة، وبدأت المعارضة لسياسة عثمان تتسع وتكتسب قاعدة أكبر حتى شعر المجتمع بفداحة الخطأ الذي ارتكبه بحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وأدرك الناس أن الخطأ في المسيرة قد تعمق نتيجة الإعراض عنه وعن أهل بيت

(١) تاريخ يعقوبي ٥٧:٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ٥٧:٩-٥٨.

النبي ﷺ، وكان أوائل الشيعة من أمثال: عمار وابن مسعود وأبي ذر الغفاري في طليعة الدعاة لتصحيح المسيرة وإعادة الحق إلى نصابه، ولقيت دعوتهم آذاناً صاغية كثيرة، وسرعان ما تحولت المعارضة الكلامية إلى معارضة مسلحة أطاحت بالخليفة الثالث.

وعندما وصلت الأخبار إلى حذيفة بن اليمان - وهو من الشيعة الأوائل - وكان على فراش الموت، وسئل عن الأمر، فقال لهم: آمركم أن تلزموا عماراً. قالوا: إنَّ عماراً لا يفارق علياً! قال: إنَّ الحسد هو أهلك الجسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من علي، فوالله لعلِّي أفضل من عمار، أبعد ما بين التراب والسحاب، وإنَّ عماراً لمن الأحاب، وهو يعلم أنَّهم إن لزموا عماراً كانوا مع علي. (١)

ولما بلغ حذيفة بن اليمان أنَّ علياً قد قدم (ذي قار) واستنفر الناس، دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة، وقال لهم: الحقوا بأمرير المؤمنين ووصي سيد المرسلين، فإنَّ من الحق أن تنصروه. (٢)

(١) مجمع الزوائد ٧: ٢٤٣ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٨٧ - ١٨٨.

وكان حذيفة يحذر من الفتن، ويدعو إلى التمسك بعلي عليه السلام في فترة الدعوة التي كان يتولاها شيعة علي عليه السلام، ويقول: انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها فإنها على الهدى.<sup>(١)</sup>

وكان أبوذر يقعد في المسجد ويقول: ... ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه. أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها! أما لو قدمتم من قدم الله، وأخترتم من أختار الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتكم علم ذلك عندهم من كتاب الله وستة نبيّه، فأما إذ فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.<sup>(٢)</sup>

وكان عدي بن حاتم يقول: والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة، إنه - يعني عليًا - لأعلم الناس بهما، ولئن كان

(١) مجمع الزوائد ٢٣٦:٧ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، فتح الباري ٤٥:١٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢: ٦٧-٦٨.

إلى الإسلام، إنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام، ولئن كان إلى الزهد والعبادة، إنه لأظهر الناس زهداً وأنهكهم عبادة، ولئن كان إلى العقول والنحائز<sup>(١)</sup>، إنه لأشد الناس عقلاً وأكرمهم نحيزة<sup>(٢)</sup>.

#### ما بعد البيعة :

لقد كان لهذه الدعوات المستمرة من أولئك الصحابة الممثلين لخط التشيع لعلي عليه السلام صدى كبير أدى إلى اتساع نطاق التشيع يوماً بعد يوم، ليشمل عدداً آخر من الصحابة ثم التابعين لهم. لهذا لا نستغرب أن نجد مالك الأشتر يوم بيعة علي عليه السلام، يقول: أيها الناس، هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل. وقد بايع الأشتر علياً عليه السلام نيابة عن أهل الكوفة، وبايعه طلحة والزبير نيابة عن المهاجرين، وقام أبو الهيثم بن التيهان وعقبة بن عمرو وأبو أيوب فقالوا: نبايعك على أن

(١) جمع نحيزة: أي الطبيعة.

(٢) جمهرة الخطب ١: ٣٧٩ رقم ٢٦٧.

علينا بيعة الأنصار وسائر قريش.

وقام قوم من الأنصار فتكلموا، وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكان خطيب الأنصار فقال: والله يا أمير المؤمنين، لئن كانوا تقدّموك في الولاية، فما تقدّموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري، وهو ذو الشهادتين، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلا إليك، ولئن صدقنا أنفسنا فيك، فلأنت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله، وأولى المؤمنين برسول الله، لك ما لهم، وليس لهم ما لك.

وقام صعصعة بن صوحان فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد زينت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها.<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ يعقوبي ٧٥:٢.

## تعثر المسيرة:

بلغ اتجاه التشيع لعليّ عليه السلام أوجه خلال فترة حكم عثمان، وبعد تسنّم عليّ سدة الحكم بعد البيعة الجماهيرية العظيمة التي تمتّ له، والتي يصفها هو نفسه بقوله: «فتداكّوا عليّ تداكّ الإبل الهيم يوم وردّها وقد أرسلها راعيها، وخُلعت مثانيها، حتّى ظننت أنّهم قاتلي، أو بعضهم قاتل بعض ولدي...»<sup>(١)</sup>

إلا أنّ الأمور بدأت تسير عكس المسيرة، عندما عارض بعض الصحابة عليّاً عليه السلام، بعدما تبين لهم أنّه يريد أن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وآله، من مساواتهم مع سائر الناس في العطاء - دون الطبقية وهو الأمر الذي كان عمر قد سنّه وغيره وتابعه عليه عثمان - بالاضافة إلى تغيير بعض الولاة ممّن اشتهروا بسوء سيرتهم خاصة في زمن عثمان، فتأججت نيران الحرب واستمرت حتّى نهاية خلافة عليّ عليه السلام والتي دامت ما يقرب من خمسة أعوام، وكانت من افرازات هذه المعارك الطاحنة في أيام الجمل وصفين أنّها أكلت عدداً لا يستهان به من أكثر شيعة عليّ عليه السلام إخلاصاً وتفانياً، وأصحبهم عقيدة، وأكثرهم تسليماً له، ولم يبق منهم

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٦٠٤.

إلا أقل القليل، فكانت النتيجة وخيمة، إذ إنَّ من تبقى معه لم يكونوا في أغلبهم ممن أخلص في تشيعه واتباعه والاحتفاف به، وكانت الحرب قد أنهكتهم، لذا فإنَّ الكثير منهم ما لبثوا أن استجابوا لأوّل دعوة خادعة بإيقاف الحرب. ولما حاول عليّ عليه السلام أن يشنّهم عن عزمهم كاشفاً وجه الخداع في المسألة، نجدهم يبادرون إلى عصيانه إلى درجة تهديده بالقتل أو بالتسليم لعدوّه، فلم يجد بداً من النزول عند رغبتهم، ولم يكن ذلك نهاية المطاف، إذ إنَّهم سرعان ما ندّموا على قبول التحكيم، وتبيّن لهم خطأهم، ولكنهم عالجوا الأمر بسلبية أكثر، فطلبوا منه التحلّل من عهوده التي قطعها على نفسه والعودة إلى الحرب، وهذا ممّا يدلّ على أنّ هؤلاء لم يكونوا أصحاب بصيرة، ولا كان تشيعهم لعليّ عليه السلام إلا تشيّعاً ظاهرياً غير نابع من عقيدة راسخة، كما ويدلّنا تصرّفهم ذاك على مدى عمق ترسّخ المنهج الذي اتّبعه أصحاب الخط الاجتهادي، ممّا جعل الخروج على أمر أولياء الأمور ظاهرة اعتيادية، طالما كان الخروج على أمر النبي صلى الله عليه وآله ذاته ممكناً.

لقد أدّى تمرّد هذه الفئة إلى زيادة الأمور تعقيداً، إذ إنَّ عليّاً عليه السلام قد وجد نفسه في نهاية الأمر مضطراً إلى خوض

الحرب معهم بعدما أفسدوا في بعض النواحي وقتلوا بعض الأبرياء دون ذنب، وكانت نتيجة ذلك أكثر وبالاً، فإن المعركة قد أنهكت قوى مؤيديه، وأدت إلى تقاعسهم أكثر فأكثر، ولم يفلح تحريضه ومن بقي معه من خواص شيعته في استنهاض هممهم من جديد.

ثم جاءت الطامة الكبرى حينما تجرّأ أحد المتمردين عليه وقتله في محراب عبادته، لينهي صفحة من الكفاح الدؤوب لتنشئة جيل من الشيعة متشرّب بالقيم التي تؤهّله للنهوض بأعباء المرحلة العصبية التي واجهها منذ وفاة النبي ﷺ، وحتى لحظة سقوطه في محرابه بسيف ابن ملجم. إنّ هذه النهاية المأساوية التي جاءت في هذا الوقت العصيب، قد أثّرت على المسيرة بشكل واضح، ولهذا فإنّ ابنه الحسن عليه السلام لم يجد بُدّاً من القيام بدوره التكميلي في الإصلاح أمام هذه الأعباء الثقيلة، مع الافتقار إلى العدد الكافي من الأعوان ذوي العقائد الصحيحة، وتخاذل الجزء الأكبر من الباقيين، فلم يجد بُدّاً من مهادنة معاوية بن أبي سفيان، بعد أن أدرك عدم جدوى الاستمرار في القتال في ظلّ تلکم الظروف.

وباستلام معاوية زمام الأمور دخل التشيع في أصعب



مراحله، إذ بدأ معاوية بملاحقة الشيعة والانتقام منهم بكلّ تعسف، ولم يكن قد بقي من خلّص الشيعة إلا عدد ضئيل، التقطهم معاوية وأوردتهم موارد الهلاك، من أمثال: حجر بن عدي وأصحابه، وعانى البقية ظروفاً شديدة من القهر والملاحقة والتضييق على مدى عشرين عاماً من حكم معاوية الذي افتتح ولايته على الأمة الإسلامية بقهر الشيعة واضطهادهم بكلّ صنوف العذاب، فقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي عن كتاب «الأحداث» للمدائني، قائلاً: كتب معاوية نسخة واحدة الى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليها زياد بن سمّية، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيتام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية الى عمّاله في جميع الآفاق: ألاّ يجيزوا لأحدٍ من شيعة علي وأهل بيته

شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأذنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرمواهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصّلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب الى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري

هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة، أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم، فنكلوا به، واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه.

فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة؛ وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المراءون، والمستضعفون الذين يُظهرون الخشوع والتسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقرّبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل،

حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث الى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رروها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، لم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل التسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضب من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشتان عليه، حتى أن إنساناً وقف للحجاج - ويقال إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب - فصاح به: أيها الأمير: إن أهلي عقوقني فسموني علياً، وإني فقير بائس، وأنا الى صلة الأمير محتاج! فتضاحك له الحجاج وقال: لطف ما توصلت به قد وليتك موضع كذا! وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال:

إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، أفتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم<sup>(١)</sup>.

كما وأورد ابن أبي الحديد رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام في هذا المعنى، يُحدث بعض أصحابه، قال عليه السلام: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس! إن رسول الله ﷺ قبض وقد أخبر أننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قُتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونُهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثم لم نزل - أهل البيت - نُستذل ونُستضام، ونقصى ونُمتهن، نحرم ونقتل،

(١) شرح نهج البلاغة ٤٤:١١ - ٤٦، ذكر بعض ما مني به آل البيت من الأذى والاضطهاد.

ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمان معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نهب ماله، أو هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنّة، وتهمة، حتى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال: شيعة عليّ، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعلّه يكون ورعاً صادقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع <sup>(١)</sup>.

إنّ هاتين الوثيقتين المهمتين تكشفان عن حال الشيعة في العصر الأموي، إلّا أنّ سقوط الدولة الأموية بعد أكثر من

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٣.

قرن ورّيع من الزمان، وقيام الدولة العباسية، لم يكن بأقلّ شدة وسوءاً على الشيعة، فإنّ العباسيين الذين قاموا بثورتهم على الأمويين باسم الدعوة للرضا من آل محمد ﷺ، سرعان ما كشفوا عن نواياهم في الاستئثار بالسلطة التي تحولت إلى امتداد للملك الأموي، فقلّبوا لأهل البيت ﷺ ظهر المجن وهم أبناء عموماتهم، إذ إنّه وبعد فترة وجيزة من الانفراج في أواخر عهد الأمويين وبداية عهد العباسيين، تنقّس فيها أهل البيت ﷺ وشيعتهم قليلاً من نسائم الحرية، سرعان ما أحسّ العباسيون - وبخاصة في زمن المنصور - بخطورة اتساع قاعدة التشيع، بسبب التفاف الجماهير حول أهل البيت ﷺ، عندما بدأوا يلمسون تنكّر العباسيين لمبادئهم المعلنة، وراحوا يقتفون أثر الأمويين في الطغيان والارهاب على سبيل تدعيم ملكهم الغاشم، فبدأوا بالتضييق على أئمة أهل البيت ﷺ وشيعتهم، مما أدى إلى قيام انتفاضات شعبية تزعمها عدد من السادة العلويين، من بينهم محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي الملقب بالنفس الزكية، والذي أشار في رسالة بعثها إلى الخليفة العباسي المنصور إلى الأسلوب الذي اتبعه العباسيون في استلاب حقّ آل البيت عن طريق إعلان الثورة على الأمويين باسمهم ثم الاستئثار بالسلطة دونهم،

فكان ممّا قال فيها: ... فإنّ الحقّ حقّنا، وإنّما ادّعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا، وإنّ أبانا عليّاً كان الوصيّ وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟! ثم قد علمت أنّه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا، لسنا من أبناء اللّعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء، وليس يمتّ أحد من بني هاشم بمثل الذي نمّت به من القرابة والسابقة والفضل... إنّ الله اختارنا واختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد ﷺ، ومن السلف أوّلهم إسلاماً علي، ومن الأزواج أفضلهنّ خديجة الطاهرة، وأوّل من صلّى القبلة، ومن البنات خيرهنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنّة<sup>(١)</sup>.

وعندما خاب المنصور بالظفر بالنفس الزكية، وجّه سهام حقه الى أهله وعشيرته الأقربين، وقد وصف الجاحظ ما فعل المنصور بهم، فقال: ومضى المنصور ببني حسن الى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة، وأحضر محمد بن إبراهيم بن حسن وأقامه، ثم بنى عليه اسطوانة وهو حيّ، وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً ثم قتل أكثر من معه من بني حسن، وكان

(١) تاريخ الطبري ٥٦٧:٧.



إبراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب  
 فيمن حُمِلَ مصفّداً بالحديد من المدينة إلى الأنبار، وكان  
 يقول لأخويه عبدالله والحسن: تميّنا ذهاب سلطان بني أمية،  
 واستبشرنا بسلطان بني العباس، ولم يكن قد انتهت بنا الحال  
 إلى ما نحن عليه<sup>(١)</sup>.

وبعد فشل ثورة النفس الزكية ومقتله في المدينة،  
 ومصرع أخيه إبراهيم بن عبدالله الذي ثار في البصرة وقُتل  
 في باخمري قرب الكوفة في الواقعة التي أسماها الناس: بدر  
 الصغرى<sup>(٢)</sup>.

واستمرّت الثورات ضد العباسيين، ففي عهد المهدي  
 بن جعفر المنصور، خرج علي بن العباس بن الحسن بن  
 الحسن بن علي بن أبي طالب [عليه السلام]، ولكن المهدي نجح في  
 القبض على الثائر العلوي، ثم أطلق سراحه بشفاعة الحسن  
 بن علي له، ولكنه دسّ له السم في شربة عسل، فعملت فيه،  
 فلم يزل ينتفض عليه في الأيام حتى قدم المدينة، فتفسّخ  
 لحمه، وتباينت أعضاؤه، فمات بعد دخوله المدينة بثلاثة

(١) النزاع والتخاصم: ٧٤.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي فرج الاصفهاني: ٣٦٥.

أيام<sup>(١)</sup>.

وفي عهد الخليفة موسى الهادي خرج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ثائراً، وانتهت ثورته بمصرعه في فخ، وهو المعروف بشهيد فخ. وعندما تولى الرشيد الحكم بعد الهادي، ألقى القبض على يحيى بن عبدالله بن الحسن، فبنى عليه اسطوانة وهو حي<sup>(٢)</sup>.

وعندما تولى المأمون بن الرشيد الحكم تظاهر بمحبة العلويين، ودعا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأسند إليه ولاية العهد قسراً، ثم دس له السم فمات منه. وتوالت أعمال العباسيين الفظيعة تجاه أئمة الشيعة، وتجاوزوا الأحياء إلى الأموات، حين كرب المتوكل قبر الحسين عليه السلام وأغرقه بالماء، ومنع الناس من زيارته، وأقام المسالح<sup>(٣)</sup> على طريقه للقبض على كل من تسول له نفسه بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام. واتبع المتوكل سياسة التجويع مع أهل البيت عليهم السلام، فقد

(١) مقاتل الطالبين لأبي فرج الاصفهاني: ٤٠٣.

(٢) مقاتل الطالبين: ٤٠٣.

(٣) نقاط تفتيش مسلحة.

استعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرّج، فمنع آل أبي طالب من التعرّض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أنّ أحداً أبرّ أحداً منهم بشيء وإن قلّ، إلاّ أنهكه عقوبة وأثقله غمّاً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرفعونه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر<sup>(١)</sup>.

وعندما قام المستعين بالأمر قتل يحيى بن عمر بن الحسين، الذي قال فيه أبو الفرّج الإصفهاني: وكان عليه السلام رجلاً فارساً شجاعاً شديد البدن، مجتمع القلب، بعيداً عن رهق الشباب وما يُعاب به مثله. ولما أدخل رأسه إلى بغداد، جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكاراً له. ودخل أبو هاشم على محمد بن عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، قد جئتكم مهتئاً بما لو كان رسول الله حياً يعزّي به! وأدخل الأسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد، ولم يكن رؤي قبل ذلك من الأسارى لحقهم ما لحقهم من العسف وسوء الحال، وكانوا يساقون وهم حفاة سوقاً عنيفاً، فمن تأخّر ضربت عنقه<sup>(٢)</sup>. لم ينعم الشيعة بشيء من الراحة والأمان على مدى قرون

(١) مقاتل الطالبين: ٤٠٣.

(٢) مقاتل الطالبين: ٤٠٣.

عديدة حتى جاء البويهيون في سنة (٣٢٠ هـ)، فتولوا مقاليد السلطة في بعض أرجاء الدولة الإسلامية، وكانت سيرتهم حسنة جداً، وازدهرت الثقافة في عصرهم، حتى إذا جاء السلاجقة واستولوا على بغداد سنة (٤٤٧ هـ)، قام زعيمهم طغرل بك باحراق مكتبة مرجع الشيعة وزعيمهم الشيخ الطوسي عليه السلام وكرسيه الذي كان يجلس عليه للتدريس، وأحرق المكتبة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهى، وكانت من دور العلم المهمة في بغداد، بناها هذا الوزير الجليل في محلة بين السورين في الكرخ سنة (٣٨١) هـ على مثال بيت الحكمة الذي بناه هارون الرشيد، وكانت مهمة للغاية، وقد جمع فيه هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تأليف أهل الهند والصين والروم، ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين، وكان من جملتها مصاحف بخط ابن مقلة<sup>(١)</sup>. ووصفها ياقوت الحموي قائلاً: ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعبرة

(١) خطط الشام ٣: ١٨٥، الكامل في التاريخ ١٠: ٣.

وأصولهم المحررة<sup>(١)</sup>.

وفي عهد العثمانيين لم يكن الأمر أقل ضرراً على الشيعة، فقد كان تناهى إلى مسامح السلطان سليم العثماني أن بعض تعاليم المذهب الشيعي قد انتشرت بين رعاياه، وقد تمسك بها بعض الأهالي، فأمر السلطان سليم بقتل كل من يدخل في هذه الشيعة<sup>(٢)</sup>. فقتلوا نحو أربعين ألف رجل، وأخرج فتوى شيخ الإسلام بأنه يؤجر على قتل الشيعة واشهار الحرب ضدهم<sup>(٣)</sup>.

وقد ذهب آلاف من الشيعة في مذبحه أقيمت لهم في مدينة حلب بفتوى أصدرها الشيخ نوح الحنفي في جواب من سألته عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم، قال: اعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والالحاد، ومن توقف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم.. (إلى أن قال): فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا. وحكم باسترقاق

(١) معجم البلدان ٢: ٣٤٢.

(٢) كذا في المصدر. أي في هذه الجماعة من الشيعة.

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر ١: ٢٤٤.

نسائهم وذراريهم<sup>(١)</sup>.

هذا غيـض من فيض ممّا لقيه الشيعة على مرّ تاريخهم من الاضطهاد والقهر، أوردناه على وجه الاختصار، للكشف عن بعض الأسباب التي دفعت بالسلطات الحاكمة ومن يلفّ لفّها الى تشويه صورة الشيعة في أذهان الناس، لأنّ الشيعة كانوا على مرّ التاريخ شوكة في أعين سلاطين الجور والحكام الظالمين، كما وأنّ ذلك يعطينا فكرة عن المقدمات التي أدت الى تفرّق الشيعة في بعض الأحيان تبعاً لهذه الظروف الضاغطة ممّا كان يؤدي بالكثير منهم الى الوقوع في الحيرة، الأمر الذي كان يهيّء الظروف المؤاتية لنشوء بعض الفرق المنحرفة عن خط التشيع الأصيل، والذي كان في بعض الأسباب الموجبة لنشوئها دخول بعض المنحرفين والمشبوهين في صفوف الشيعة وإظهار بعض المقالات الفاسدة وإصاقها بالتشيع بهدف تشويه صورته أمام الناس بما يتيح الفرصة للحكام الغاشمين وأعوانهم في القضاء على هذا الخطّ الإسلامي الثوري الأصيل، الذي يريد المحافظة

(١) الفصول لمهمة في تأليف الأمة للسيد عبدالحسين شرف الدين: ١٩٥ -

١٩٦، عن الفتاوى الحامدية ١: ١٠٤، تاريخ الشيعة للشيخ المظفر: ١٤٧،

التقية في فقه أهل البيت ١: ٥١.

على القيم الإسلامية التي جاء بها النبي الأكرم ﷺ، وتولى حفظها وصيانتها أهل بيته الطاهرون الذين اعتبرهم الرسول ﷺ أعدال القرآن وقرناؤه.

## الفصل الرابع مسيرة التشيع

لقد أدرك أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد استشهاد الحسين عليه السلام ، أنّ من بقي من الشيعة - بعد ذهاب الجيل العقائدي الأول - لم يصلوا إلى مرحلة من النضج في العقيدة تؤهلهم للقيام بدورهم المطلوب، وتحمل التضحيات الجسيمة التي يتطلبها ذلك، فانصرفوا إلى مرحلة جديدة تتولى تثقيف هؤلاء الشيعة، وترسيخ العقيدة في نفوسهم وحمايتهم من الخطوط المنحرفة، التي بدأت تغزو الساحة الإسلامية في ظلّ حكم الأمويين، فبدأ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام هذه المهمة عن طريق بثّ التعاليم الإسلامية الحقيقية، ومحاولة الحفاظ على المسار الصحيح للإسلام، والستة النبوية الشريفة، إلّا أنّ صعوبة الظروف التي تلت استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وتضييق الأمويين الخناق على الشيعة ورصد تحركات أهل البيت عليهم السلام ، جعلت مهمته



صعبة بعض الشيء، حتى إذا تولّى الإمامة ابنه محمد بن علي الباقر عليه السلام، كانت الأمور قد انفرجت قليلاً، وبدأت قبضة الأمويين بالارتخاء بعض الشيء ممّا مكّن الإمام من نشر العلوم الإسلامية عن طريق الالتقاء بالشيعة بشكل أكثر من ذي قبل، حتى إذا حان عصر إمامة ابنه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كانت شمس دولة الأمويين قد آذنت بالمغيب، وكان انشغال الأمويين باخماد الثورات الداخلية وظهور خطر العباسيين قد أتاح فرصة جيدة للإمام الصادق عليه السلام للبدء بحملة واسعة لبث العلوم الإسلامية، فكان يجلس في المسجد النبويّ ويأتيه طلاب العلم من مختلف البلاد حتى بلغ عدد تلاميذه الألوف، وكانت تلك فرصة جيدة للشيعة للالتقاء بالإمام والانتهال من علوم أهل البيت عليهم السلام، وبتّها في مقابل ما كان يفعله أتباع المدرسة الأخرى في بث الانحراف الذي نشره الأمويون في الشريعة.

لقد كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد قرّروا الابتعاد عن الثورة المسلّحة للاطاحة بأنظمة الحكم المنحرفة، بسبب قناعتهم أن الشيعة في تلك المرحلة لم يكونوا على درجة كافية من الوعي المطلوب، لتحمل مسؤولية الثورة والحفاظ عليها، وما يترتب على ذلك من تضحيات، فكان الانصراف

للتوعية والتثقيف أكثر أهمية من الثورة غير المتكاملة الشروط، وقد تأكدت صحة هذا الرأي عند قيام زيد بن علي بثورته المسلحة على الأمويين والتي انتهت بمقتله، بعد أن تخلّى عنه أهل الكوفة، كما تخلّوا عن آبائه من قبل، ممّا يؤكد أنّهم لم يكونوا على درجة من الوعي كافية لتحمل أعباء الثورة.

لقد تحقق الانفراج النسبي في بداية قيام الدولة العباسية، وكانت تلك الفترة مؤاتية بالنسبة للشيعة لتلقي العلوم الإسلامية من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وبخاصة من الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي سمي مذهب أهل البيت عليهم السلام باسمه (المذهب الجعفري). إلا أنّ ذلك الانفراج قد بدأ بالأفول من جديد بسبب قلق العباسيين من ميل الناس إلى أهل البيت عليهم السلام، خاصة بعد ما تكشف زيف الدعوة العباسية، التي قامت أساساً في ظاهرها على الدعوة إلى الرضا من آل محمد.

ولمّا انكشف للناس زيف دعواهم وخافوا من انقلاب الناس والثورة عليهم تحت راية أهل البيت عليهم السلام، بدأوا يشددون الخناق على أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وقمعوا بقسوة جميع الثورات التي قام بها بعض السادة العلويين،

وشدّدوا الخناق على الشيعة وراقبوا أئمة أهل البيت عليهم السلام مراقبة شديدة حتى أودعهم السجون سنوات طويلة، كما فعل الرشيد مع الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، أو فرضوا الحجر عليهم من خلال فرض الإقامة الجبرية عليهم في عاصمة الدولة العباسية، بعد حملهم من منازلهم في المدينة المنورة، كما حدث لباقي أئمة أهل البيت بدءاً بالإمام الرضا عليه السلام، وانتهاءً بالإمام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام.  
لقد كانت تلك الفترة عصبية جداً، حيث لم يكن باستطاعة الشيعة الالتقاء بأئمتهم عليهم السلام بحرية تامة، بسبب الأرصاد التي وضعها العباسيون عليهم، وقد استمرت تلك الفترة حتى واغتيال الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث جدّ العباسيون في الوقوف على خبر ولده المهدي عليه السلام، الذي غاب عن الأبصار بتدبير ربّاني، واستمرت غيبته الأولى مدة قاربت السبعين عاماً وكان الاتصال بينه وبين شيعته يتم عن طريق وكلائه الأربعة الذين تناوبوا على الوكالة، حتى وقعت الغيبة الكبرى، وأصبح الفقهاء هم مراجع الشيعة علمياً ودينياً وسياسياً بعد أن أرسى الأئمة الأطهار عليهم السلام قواعد هذه المرجعية الشاملة بشكل كامل.

### الفرق الإسلامية وانحرافات الغلاة:

لم تكن مسيرة التشيع خالية من العقبات والمصاعب ، إذ إنّ تضيق السلطات على الشيعة وأئمتهم - كما مرّ - واضطرارهم للتقية إبقاء على أنفسهم، وعدم قدرة الأئمة على التصريح بكلّ الحقائق دائماً وبشكل علني - نتيجة للرقابة الحكومية الشديدة - خوفاً على شيعتهم من الملاحقة والاضطهاد، قد أدى الى وقوع بعض الشيعة أحياناً في الحيرة والارتباك، وقد استغلها بعض أصحاب النفوس المريضة والأهداف المشبوهة، بالإضافة الى أسباب أخرى كجهل بعض العوام، ممّا أدى الى ظهور خطوط منحرفة عن المسيرة الصحيحة للتشيع، تماماً كما حدث لباقي المسلمين، حيث ظهرت فرق الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة وغيرها بسبب اختلاف المسلمين في تأوّل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فضلاً عن الدور الخطير الذي لعبه بعض المتمسكين من أهل الكتاب والديانات الأخرى وإدخالهم الإسرائيليات وبثّها بين المسلمين، الى جانب انتشار الوضع في الحديث، والذي تفاقم بعد ظهور هذه الفرق حيث كان بعض أفرادها يضع الأحاديث ويتأوّل الآيات انتصاراً لمذهبه، مع تطرّف البعض في دعواه،

واعتقاد أن فرقته هي الفرقة الوحيدة المحقة وأن باقي الفرق كلها في ضلال.

وانطلاقاً من هذا الأفق الضيق قام بتكفير جميع المسلمين وأباح أعراضهم بالسيف وقتل الذرية وسبى النساء، واشتدت المعارك الكلامية أيضاً بين هذه الفرق، وأدى التعصب البغيض الى اختلاط الكثير من المفاهيم والتباس المصطلحات مما أدى الى تسمية البعض باسماء لا تليق به.

وقد عانى مذهب أهل البيت عليه السلام أشد المعاناة من هذه المسألة، حيث ألحقت كثير من الفرق وأصحابها من ذوي الاعتقادات الفاسدة، بالمذهب الحق، لا لسبب إلا لأن بعض هذه الفرق كانت تنتحل الولاء لأهل البيت عليه السلام، رغم مخالفتها لمبادئهم بشكل كلي، ومن هؤلاء الفرق الغالية التي نسبت الى الأئمة عليهم السلام ما لا يقره الشرع والعقل ولا الأئمة أنفسهم، وقالوا فيهم ما لم يقولوا هم في أنفسهم.

وكان السبب في نسبة هؤلاء الى التشيع تظاهرهم بالتمسك بمذهب أهل البيت عليه السلام، رغم عقائدهم المنحرفة التي نشأت نتيجة الغلو وفي ظروف خاصة من القمع والقهر لأهل البيت عليه السلام.

لقد أدت هذه الأسباب مجتمعة بالإضافة الى أسباب أخرى منها الصراع على السلطة الى خلط في المفاهيم، كان من نتائجها تضارب كبير في أقوال المؤلفين في الفرق، وبخاصة فيما يتعلق بالشيعة ، حيث إننا لا نكاد نجد اتفاقاً بين هؤلاء المؤلفين حول عدد فرق الشيعة، فبعضهم يقلل العدد الى ثلاث فرق وآخر يربو بهم عن العشرين فرقة وهكذا دواليك. وبعض هذه الفرق لا وجود لها أساساً، وبعض المؤلفين جعل من بعض الأفراد فرقاً، فالشهرستاني مثلاً يخترع فرقاً للشيعة باسم الهشامية واليونسية والزرارية نسبة الى هؤلاء الأشخاص مع كونهم أفراداً لم يُعرف أنّ لهم فرقاً قائمة بذاتها لها نظرياتها الخاصة بها، وبعض المؤلفين يدفعه التعصب لمذهبه الى الحط من الآخرين وتجريدتهم من كلّ فضل أو علم، كالبغدادي مثلاً الذي يقول: ولم يكن - بحمد الله ومَنّه - في الخوارج ، ولا في الروافض، ولا في الجهمية، ولا في القدرية، ولا في المجسّمة، ولا في سائر أهل الأهواء الضالة، إمام في الفقه ولا إمام في رواية الحديث ولا إمام في اللغة والنحو، ولا موثوق به في نقل المغازي والسير والتاريخ ولا إمام في الوعظ والتذكير ولا إمام في التأويل والتفسير، وإنّما

كان أئمة هذه العلوم على الخصوص والعموم من أهل السنة والجماعة!!<sup>(١)</sup>

وهذا الكلام الذي يحمل كل معاني التعسف والاجحاف بحق الآخرين لا يقره أي مطلع على التراث الإسلامي وهو يعجّ بمؤلفات علماء المسلمين ومحدثيهم ومؤرخيهم من جميع الفرق والطوائف.

ومن الأمثلة على الخلط الشديد - لدى بعض المؤلفين :  
التقسيم الذي وضعه الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤ هـ) في كتابه: (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) الذي يقسم الشيعة ابتداءً الى ثلاث فرق رئيسية، ثم يفرّع فيها فرقاً أخرى، فيجعل فرقة الغلاة خمس عشرة فرقة، ثم يذكر الإمامية ويرمز إليها بالرافضة ويقسمها الى أربع وعشرين فرقة، ويعد الكيسانية من فرق الإمامية بينما هي من فرق الغلاة في الحقيقة ولا علاقة لها بالإمامية، ثم يذكر الزيدية ويقسمها بدورها الى ثلاث طوائف هي الجارودية والبترية والسليمانية، ثم يقسم هذه الفرق الى فرق أخرى، وقد وقع الكثيرون في خطأ عدّ

(١) الفرق بين الفرق: ٢٨٢.

السليمانية من فرق الزيدية، بينما عقيدتهم مشابهة تماماً لعقيدة جمهور أهل السنة، كما سوف يتضح فيما بعد.

ومن المؤسف أنّ الكثير من المؤلفين المعاصرين قد ساروا على نفس النهج، واعتمدوا على كتب هؤلاء القدامى دون تمحيص أو تحقيق، ودون الرجوع الى مصادر كلّ فرقة أو طائفة لمعرفة منهجها الفكري من لسان أصحابها، بل اكتفوا بمقالة خصوم كل فرقة وما لفقوه عنها.

إنّ ما يهّمنا من هذا كلّهُ أن نتعرف على تكوّن فرق الشيعة المرتبط بموضوعنا (نشأة التشيع)، لذا سوف نحاول استقصاءها جهد الإمكان لتوضيح أثر الظروف العصبية التي مرّت على الشيعة من جهة، والكشف عن الخلط الذي وقع فيه المؤلفون في عقائد الشيعة حين عدّوا منهم من ليس منهم، ومن لا يعتبره الشيعة أنفسهم جزءاً منهم من جهة أخرى.

وسنبداً أولاً بمفهوم التشيع نفسه. ثم نشير الى أهم الاتجاهات الشيعية بایضاح، ثم نعرّج على بيان موقف الشيعة وأئمتهم من الغلو والغلاة.



## مفهوم التشيع

لقد أورد المؤلفون عن الشيعة والتشيع عدة تعاريف ،  
نحاول استعراض أهمّها:

- ١- قال أبو الحسن الأشعري: إنّما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليّاً، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.
- ٢- أما ابن حزم فيحدّد مفهوم التشيع بقوله: ومن وافق الشيعة في أنّ عليّاً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقّهم بالإمامة، وولده من بعده، فهو شيعيّ وإن خالفهم فيما عدا ذلك ممّا اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيّاً<sup>(٢)</sup>.

٣- وعرفهم الشهرستاني بقوله: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّة، إما جليّاً وإما خفيّاً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقيّة من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، هي ركن الدين، لا يجوز للرسول ﷺ إغفاله وإهماله ولا تفويضه

(١) مقالات الإسلاميين ٦٥:١ ط القاهرة ١٩٥٠ م.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢: ١١٣ ط . بغداد.

إلى العامة وإرساله .

وأضاف قائلاً: ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت العصمة للأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري، قولاً وفعلاً وعقداً، إلا في حالة التقية<sup>(١)</sup>.

٤- وقال محمد فريد وجدي: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً عليه السلام في إمامته، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده، قالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، هي ركن الدين، ولا بدّ أن يكون الرسول قد نصّ على ذلك صريحاً، والشيعة يقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً، إلا في حال التقية إذا خافوا بطش الظالم<sup>(٢)</sup>.

٥- ومن المؤلفين الشيعة الذين حدّدوا مفهوم التشيع، النوبختي، الذي يقول: فأول الفرق الشيعة، وهم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام المستمون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي صلى الله عليه وآله وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، فهم: المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة

(١) الملل والنحل: ١٣١.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٥: ٤٢٤.

الغفاري، وعمّار بن ياسر، ومن وافق مودّته مودّة علي عليه السلام، وهو أول من سمّي باسم التشيع من هذه الأمة، لأنّ اسم التشيع قديم، شيعة إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

٦- أما الشيخ المفيد فيعرّف الشيعة بأنهم: من شايع علياً وقدمه على أصحاب رسول الله صلوات الله عليه، واعتقد أنّه الإمام بوصية من رسول الله ﷺ وإرادة من الله تعالى نصّاً، كما يرى الإمامية، أو وصفاً كما يرى الجارودية<sup>(٢)</sup>.

٧- أما الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، فيتناول الكلام عن النصّ والوصية ويربط التشيع بالاعتقاد بكون عليّ إماماً للمسلمين بوصية من الرسول، وإرادة من الله، ثمّ يقسم النصّ الى نوعين: الجلي والخفي.

أما النصّ الجلي فقد تفرد بنقله الشيعة الإمامية خاصة، وإن كان من أصحاب الحديث من رواه على وجه نقل أخبار الآحاد.. أما النصّ الخفي فيرى الطوسي أيضاً أنّ جميع الأمة تلقته بالقبول وإن اختلفوا في تأويله والمراد منه، ولم يقدم

(١) فرق الشيعة: ١٧.

(٢) هوية التشيع، الشيخ أحمد الوائلي: ١٢، عن موسوعة العتبات المقدسة المدخل: ٩١.

أحد منهم على إنكاره ممن يعتد بقوله.  
ويخرج الطوسي السليمانية من الزيدية من فرق الشيعة  
لأنهم لا يقولون بالنص، وإنما يقولون إن الإمامة شورى،  
وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها تصلح في  
المفضول. ولما كان قول الصالحية والبترية من الزيدية في  
الإمامة كقول السليمانية، ينطبق عليهم - على رأي الطوسي -  
ما ينطبق على السليمانية<sup>(١)</sup>.

هذه هي أهم الآراء التي استعرضت مفهوم التشيع من  
بعض القدامى والمعاصرين من كلا الفريقين ويمكننا أن  
نستنتج من كلماتهم في تبين مفهوم التشيع أن لهم  
اصطلاحين، أحدهما: التشيع بالمعنى العام، وثانيهما التشيع  
بالمعنى الخاص.

وقد وقع الخلط بين هذين المفهومين عند كل من تطرق  
إلى هذا الموضوع، ويمكننا من خلال مراجعتنا لأقوال  
المؤلفين الذين استعرضنا آراءهم، أن نعرف أنهم يكادون  
يعتبرون عن التشيع بمفهومه الخاص دون التطرق إلى  
مفهومه العام، وهذا ما سنحاول توضيحه مع ذكر التقسيمات  
التي تتفرع عن كل من المفهومين:

(١) د. عبدالله فياض: تاريخ الإمامية: ٣٢-٣٣.

## أ- التشيع بالمعنى العام

١- من هذا الضرب القول بتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام على عثمان بن عفان فقط ، دون الشيخين أبي بكر وعمر . وهذا النوع من التشيع كان يضم شريحة كبيرة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، كما يعترف بذلك شمس الدين الذهبي في ترجمة «أبان بن تغلب» رداً على من اعترض على توثيقه مع تشيعه ، قائلاً: إنّ البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف ، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلورّد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية ، وهذه مفسدة يئنة ، فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم: هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً عليه السلام وتعرض لسيئتهم<sup>(١)</sup>.

٢ - القائلين بتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الصحابة ، ومن بينهم الشيخان أبو بكر وعمر ، ولكن مع الاعتراف بصحة خلافتهم وعدم الاعتراف بوجود نص على خلافة علي عليه السلام أو أحد غيره .

(١) ميزان الاعتدال ٦:١.

ويمثّل المعتزلة البغداديون وبعض البصريين منهم هذا الاتجاه بشكل واضح، وقد فصل ابن أبي الحديد المعتزلي القول في ذلك في بداية شرحه لكتاب نهج البلاغة، قائلاً: اتفق شيوخنا كافة رحمهم الله، المتقدمون منهم والمتأخرون، والبصريّون والبغداديّون على أنّ بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية، وأنها لم تكن عن نص، وإنما كانت بالاختيار الذي ثبت - بالإجماع وبغير الإجماع - كونه طريقاً إلى الإمامة.

واختلفوا في التفضيل، فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عبّيد، وأبي إسحاق إبراهيم بن يسار النظام، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبي معن ثمامة بن أشرس، وأبي محمد هشام بن عمور الفوطي، وأبي يعقوب يوسف بن عبدالله الشحام، وجماعة غيرهم: إنّ أبا بكر أفضل من علي عليه السلام، وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

وقال البغداديون قاطبة - قدماءهم ومتأخروهم - كأبي سهل بشر بن المعتمر، وأبي موسى بن صبيح، وأبي عبدالله جعفر بن مبشر، وأبي جعفر الاسكافي، وأبي الحسين الخياط، وأبي القاسم عبدالله بن محمود البلخي وتلامذته: إنّ

علياً عليه السلام أفضل من أبي بكر.

والى هذا المذهب ذهب من البصريين، أبو علي محمد ابن عبد الوهاب الجبائي أخيراً، وكان من قبل من المتوقفين، كان يميل الى التفضيل ولا يصرح به، وإذا صنف ذهب الى الوقف في مصنفاته. وقال في كثير من تصانيفه: إن صحَّ خبر الطائر فعليُّ أفضل <sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٣٨٧:٧، وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة، ثم أورد الروايات التي جاءت فيه، فعن الترمذي بإسناده عن أنس، قال: كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، فجاء علي فأكل معه، ثم يورد ابن كثير روايات متعددة في هذا الشأن بطرق مختلفة، وقال إنها تصل الى بضع وتسعين، وقال: وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو ظاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبدالله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنداً ومتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم، وبالجمل في القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه...

لكن ردّ هذا الحديث رغم كثرة طرقه كان بسبب مخالفته لعقيدة الجمهور في التفضيل، لأن الحديث يدل على أفضلية علي عليه السلام على جميع الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله، وقد أخرج الحديث بألفاظ متعددة عدد

←

ثم إن قاضي القضاة رحمته الله، ذكر في شرح المقالات لأبي القاسم البلخي، أن أبا علي رحمته الله ما مات حتى قال بتفضيل علي عليه السلام، وقال: إنه نقل ذلك عنه سماعاً، ولم يوجد في شيء من مصنفاته.

وقال أيضاً: إن أبا علي رحمته الله يوم مات استدنى ابنه أبا هاشم إليه، وكان قد ضعف عن رفع الصوت، فألقى إليه أشياء، ومن حملتها القول بتفضيل علي عليه السلام.

وممن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين: الشيخ أبو عبدالله الحسين بن علي البصري رحمته الله، كان متحققاً بتفضيله ومبالغاً في ذلك، وصنف فيه كتاباً مفرداً.

وممن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين: قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمته الله، ذكر ابن متويه عنه في كتاب (الكفاية) في علم الكلام أنه كان من المتوقفين بين علي عليه السلام وأبي بكر، واحتج لذلك وأطال في الاحتجاج.

---

→ كبير من الحفاظ والمحدثين، مثل: الترمذي: ح ٣٧٢١، الطبري ١: ٢٢٦، ٩٦: ٧، ٣٤٣: ١٠، الذهبي في ميزان الاعتدال: ٢٢٨٠، ٢٦٣٣، ٧٦٧١، ٨٥٠٦ وابن حجر في لسان الميزان ١: ٧١، ٨٥ والحديث مذكور أيضاً في كنز العمال: ٤٦٥٠٧، ٣٩٦٤، والمشكاة: ٦٠٨٥، مجمع الزوائد ٩: ١٢٥، والاتحاف ٧: ١٢٠، والتذكرة: ٩٦٩٦، وتاريخ دمشق ٥: ٢٢٢، ٣٤٢: ٧، تاريخ جرجان: ١٧٦ وغيرها.



فهذان المذهبان كما عرفت.

وذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله الى التوقف فيهما؛ وهو قول أبي حذيفة واصل بن عطاء، وأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف، من المتقدمين، وهما - وإن ذهبا الى التوقف بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر - قاطعان على تفضيله على عثمان.

ومن الداهيين الى الوقف : الشيخ أبو هاشم عبدالسلام بن أبي عليّ رحمهما الله، والشيخ أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري رحمته الله.

وأما نحن فنذهب الى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام، وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل، وهل المراد به الأكثر ثواباً، أو الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة، ويثبت أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً<sup>(١)</sup>.

#### ب - التشيع بالمعنى الخاص

وهو القول بتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الأمة كلّها بعد النبي صلى الله عليه وآله مع القول بوجود نصّ صريح من النبي صلى الله عليه وآله على إمامته، وبأمر من الله سبحانه وتعالى، وأنّ الإمامة من بعده في عقبه.

(١) شرح نهج البلاغة ١: ٧.

وهذا هو المفهوم الذي تكوّن منذ عهد الرسالة النبوية الشريفة وحمل أعباءه عدد من الصحابة المقربين للنبي ﷺ وأوصلوه الى غيرهم وامتدّ خطّه بعد ذلك وتعاضم على مرّ الأيام وكتب له الخلود الى يومنا هذا والى ما شاء الله، قد تمثّل في الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي تتلخّص أصول عقائدها فيما يأتي.

#### عقيدة الاثني عشرية:

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وهم: علي بن أبي طالب، ثم ابنه الحسن بن علي، ثم أخوه الحسين بن علي، ثم ابنه علي بن الحسين السجّاد، ثم ابنه محمد بن علي الباقر، ثم ابنه جعفر بن محمد الصادق، ثم ابنه موسى بن جعفر الكاظم، ثم ابنه علي بن موسى الرضا، ثم ابنه محمد بن علي الجواد، ثم ابنه علي بن محمد الهادي، ثم ابنه الحسن بن علي العسكري، ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويستندون في عقيدتهم هذه الى النصوص المتفق عليها من الفريقين على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بأمر من الله ورسوله، والتي مرّ بعضها فيما سبق، وأهمّها حديث الغدير،

وكذلك حديث الثقلين الذي نصّ فيه النبي ﷺ على ضرورة التمسك بأهل بيته.

وقد بيّنا فيما سبق من هم أهل بيته، وأما باقي الأئمة، وتمامهم اثنا عشر إماماً فيعتمدون - فضلاً عن النصوص التي ينفردون بها - على النص المتفق عليه عند الفريقين، والذي أخرج كبار أئمة الحديث من الجمهور، وفي مقدمتهم الشيخان البخاري ومسلم، فضلاً عن باقي أصحاب الصحاح والمسانيد والمعاجم الحديثية وغيرها، فقد أخرجوا - واللفظ للبخاري - عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي، إنه قال: «كلهم من قريش»..

وأخرجها غيره من المحدثين بألفاظ، منها: «يكون اثنا عشر خليفة»، «ويكون اثنا عشر رجلاً» و «اثنا عشر قتيماً»<sup>(١)</sup>.

وقد تحيّر علماء الجمهور في المقصود بهؤلاء الاثني عشر، فقال ابن كثير في باب: «الإخبار عن الأئمة الاثني عشر ﷺ الذين كلهم من قريش»: «وليسوا بالاثني عشر

(١) انظر صحيح البخاري ١٠١:٩، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، جامع الترمذي ٥٠١:٤، سنن أبي داود ١٠٦:٤، المعجم الكبير للطبراني ١٩٦:٢ وغيرها.

الذين يدعون إمامتهم الرافضة، فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يلأمور الناس منهم إلا علي بن أبي طالب وابنه الحسن، وآخرهم في زعمهم المهدي المنتظر الذي غاب بسر داب في سامراء، وليس له وجود، ولا عين، ولا أثر، بل هؤلاء من الأئمة الاثني عشر المخبر عنهم في الحديث: الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبدالعزيز بلا خلاف بين الأئمة على كلا القولين لأهل السنة في تفسير الاثني عشر.

ثم ينقل ابن كثير أقوال العلماء كاليهقي - بعد إيراد نصوص الحديث - ولكن العدد لا يستقيم لأنهم يحاولون إلحاق بني أمية بالخلفاء الراشدين فيضطرون إلى ادخال يزيد بن معاوية، والوليد ابن يزيد بن عبد الملك، الذي يصفه ابن كثير بقوله: «الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد»، كما وأنّ العدد يربو على اثني عشر فيضطرون إلى حذف بعضهم بحجة عدم الاجتماع عليهم دون الوصول إلى نتيجة حاسمة، وأخيراً يقرر ابن كثير أنّ رواية أبي الجلد هي الأقرب إلى الصحة لأن أبا الجلد كان قد نظر في الكتب القديمة، وفي التوراة وجد ما معناه: إنّ الله تعالى بشّر إبراهيم بإسماعيل، وإنّه ينمّيه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر

عظيماً!

ثم ينقل ابن كثير قول شيخه ابن تيمية الحراني الذي مفاده: وهؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة، وقرّر أنّهم يكونون مفرّقين في الأمة! ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا، وغلط كثير ممّن تشرف بالإسلام من اليهود فظنّوا أنّهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتّبعوهم<sup>(١)</sup>.

وفي هذا اعتراف منهم بأنّ أهل الكتاب قد عرفوا من كتبهم أنّ هؤلاء الاثني عشر هم الأئمة من أهل البيت عليه السلام كما تقول الشيعة الاثنا عشرية، فدخلوا في الإسلام وتشيعوا. ولا عبرة بمزاعم ابن تيمية وغيره حيث قالوا بأنّ أولئك الخلفاء يكونون مفرّقين في الأمة، إذ ليس في الحديث ما يدل على ذلك، كما أنّ عدّة أولئك لم تتمّ لحين هذه الساعة بعد سقوط الخلافة الإسلامية.

وينقل ابن حجر العسقلاني آراء عدد من العلماء كابن الجوزي وابن البطال وغيرهم في هذا الحديث الذي قال فيه ابن الجوزي: قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث، وتطلّبت مظانّه، وسألت عنه، فلم أقع على المقصود به؛ لأنّ

(١) البداية والنهاية ٢٧٨:٦ - ٢٨٠، ١٧٦:٢ ذكر مولد إسماعيل عليه السلام من هاجر.

ألفاظه مختلفة، ولا شك أنّ التخليط فيها من الرواة<sup>(١)</sup>. ويتّضح من ذلك: إنّ اضطراب القوم في تفسير الحديث يعود الى ألفاظ، مثل: (خليفة وأمير) وغيرها فيه، فظنّوا أنّ المقصودين بذلك هم خلفاء بني أمية وبني العباس وغيرهم من الطواغيت، وقد فاتهم أنّ الخلافة والإمارة المقصودة هي الإمامة التي هي أوسع أفقاً من الحكم.

وأما باقي عقائد الإمامية وأصولهم فتتركز في: أولاً: التوحيد، ويعني أنّ الله واحد لا شريك له ولا ند، وأنه واجب الوجود لذاته، لم يلد ولم يولد، منزّه عن الآفات والنقصان، غير محدود بمكان ولا زمان، وأنه ليس كمثله شيء فهو منزّه عن الجسميّة والحدوث، لا تدركه الأبصار في الدنيا والآخرة، وأنّ جميع صفاته الذاتية من حياة وقدرة وعلم وإرادة وغير ذلك هي عين ذاته.

ثانياً: العدل، قد لخصّ الشيخ المفيد هذا الأصل بقوله: إنّ الله عدل كريم خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وعمّهم بهدأيته، بدأه بالنعم والتفضّل عليهم بالاحسان، لم يكلف أحداً دون الطاقة، ولم يأمره إلّا بما جعل

(١) فتح الباري ١٣: ١٨١.

له عليه الاستطاعة، لا عبث في صنعه ولا تفاوت في خلقه، ولا قبيح في فعله، جلّ عن مشاركة عباده في الأعمال، لا يعذب أحداً إلا على ذنب فعله، ولا يلوم عبداً إلا على قبيح صنعه ﴿لا يظلم مثقال ذرة فإن تكن حسنة يضاعفها ويؤتي من لدنه أجراً عظيماً﴾<sup>(١)</sup>.

هذا في الوقت الذي تقول معظم الفرق الإسلامية الأخرى، بأن الله قد يعذب المحسن دون ذنب جناه، وينعم على المسيء ويدخله الجنة، وفي هذا ما فيه من نسبة الظلم إليه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ووافق المعتزلة الشيعة في هذا الشأن، لذا أطلق عليهما مصطلح العدلية.

ثالثاً: النبوة، وهي أنّ إرسال الأنبياء إلى الخلق مبشرين ومنذرين واجب، وأن الله قد أرسل أنبياءه منذ خلق آدم، وختمهم بسيدهم وأفضلهم سيد الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله ﷺ وبه ختمت النبوة، وأنّ شريعته خالدة إلى يوم القيامة، وهو معصوم عن الخطأ والنسيان وارتكاب المعاصي والردائل قبل البعثة وبعدها، وأنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وأنه قد أدّى رسالته كاملة، ويّين للمسلمين

(١) أوائل المقالات: ٢٤.

حدود شريعتهم، وأنّ القرآن الذي أنزل عليه غير قديم - لأنّ القديم هو الله تعالى وحده - وأنّ الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو مصون من التحريف.

رابعاً: الإمامة، ويعتقد الإمامية بأنّ الإمامة لطف من الله لا ينبغي للنبي ﷺ أن يغفل عنه، وأنّ نبينا ﷺ قد أقام علي بن أبي طالب في غدير خمّ، ونصبه إماماً ودعا الى التمسك به واتباعه في أحاديث كثيرة، كما دعا الى التمسك بالأئمة من أهل بيته ﺍﻟﻤﻮﺗﺎﻟﻪ.

خامساً: المعاد، وهو أن الخلائق كلّها تبعث يوم القيامة، ليجازي الله كلّاً منهم على عمله، فمن أحسن فجزأؤه الحسنى، ومن أساء عاقبه الله، وأنّ الشفاعة حقّ وأنها لأهل الكبائر من المسلمين، وأنّ الكفار والمشركين مخلّدون في النار.

هذه هي أصول عقائد الشيعة الاثني عشرية باختصار شديد<sup>(١)</sup>، أوردناها ردّاً على الذين يدّعون على الشيعة ما ليس فيهم، كقولهم بالتجسيم وغير ذلك بهدف التشنيع عليهم ليس إلّا.

(١) انظر عقائد الإمامية للشيخ المظفر: ٣٦، وما بعدها.



## الخطوط المنحرفة:

لقد أدت الظروف التي نشأت بعد وفاة النبي ﷺ - من استيلاء خطّ الاجتهاد على مجريات الأمور - الى تحوّل الشيعة الى خطّ معارض للسلطة خصوصاً بعد استيلاء الأمويين على مقاليدها، ثم تبعهم العباسيون وغيرهم ممّن أخذوا على عاتقهم مهمة التصدي لمناوءة التشيع الأصل بمختلف الوسائل بهدف القضاء عليه، ولما تبين أنّ ذلك ليس بالأمر الميسور، وبعد فشل جميع ممارسات القمع والتنكيل للقضاء على التشيع، لجأت هذه السلطات الى مختلف الوسائل لتشويه صورة التشيع في أذهان المسلمين بعد عجزهم عن القضاء عليه فعلياً، فكان من تلك الأساليب إدخال عناصر مشبوهة في صفوف الشيعة لتتولى هذه العناصر بثّ الأفكار المسمومة في صفوف البسطاء منهم بهدف اعطاء انطباع مؤداه أنّ التشيع يتبنّى هذه الأفكار المنحرفة فيتحقق الهدف وهو تنفير الناس منه، وبالتالي اضعاف شوكته وتسهيل القضاء عليه، أو على الأقل تحجيمه ومنع انتشاره والحيلولة دون تحوّل الى قوّة تهدد كيان السلطة.

ومن هنا ظهرت فرق أو شراذم من المنحرفين القائلين

ببعض الآراء الفاسدة التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، مع زعم الانتساب إلى أهل البيت عليه السلام لاضفاء طابع الشرعية على أفكارهم وحركاتهم وترويجها في صفوف العوام والجهال، وقد حققت الكثير من تلك الشراذم بعض الأهداف الموكلة إليها في جرف البعض في ذلك التيار، مما دعا أئمة أهل البيت عليه السلام إلى التصدي بحزم لتلك الاتجاهات وفضحها وتحذير الناس منها، حتى أصبحت مسيرة التشيع تستمر في خطها الأصيل الواضح المعالم رغم محاولات الدس والتشويه التي تعرضت لها، ولكن جهود أولئك المنحرفين قد أثمرت نسبياً بسبب توفر بعض الظروف، ومن أهمها دعم السلطات لها سراً بهدف تمزيق صفوف الشيعة، فظهرت فرق مخالفة لخط التشيع الأصيل بدرجات متفاوتة، إضافة إلى ظهور أفراد أو شراذم من الغلاة حاولت الإساءة إلى التشيع مدفوعة باغراض مختلفة سنحاول بسطها باختصار فيما بعد من خلال استعراض بعض آراء الأئمة عليه السلام من أهل البيت في أولئك الغلاة.

وقد عرفت أن التمسك بالأئمة الاثني عشر عليه السلام هو التعبير العملي للالتزام الحرفي بالنص النبوي في أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فهو الذي يمثل الاستمرار على خطّ النصّ وعدم الخروج عنه الى خط الاجتهاد.

غير أنّ البعض منهم لم يبق ثابتاً على ذلك فاتّجه الى من سواهم في وسط الطريق كالزيدية والإسماعيلية الذين يشتركون مع الاثني عشرية في جملة من المعتقدات ثم يفترقون عنهم في جملة أخرى. وإليك ملخصاً من عقائدهم:

١ - الزيدية: وهم القائلون بأفضلية عليّ بن أبي طالب عليه السلام على كافة الصحابة، ولكن مع الاعتراف بصحة خلافة الشيخين أبي بكر وعمر، وجواز تقدم المفضل على الفاضل، وأنّ الإمامة من بعد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام هي في كلّ رجل من ولد فاطمة عالم زاهد شجاع يخرج بالسيف.

ومن تفرّعات الزيدية: (الجارودية) الذين قالوا بتفضيل علي عليه السلام ولم يروا مقامه يجوز لأحد سواه، وزعموا أنّ من دفع عليّاً عن هذا المكان فهو كافر، وأنّ الأمة كفرت وضلّت في تركها بيعته، وجعلوا الإمامة بعده في الحسن بن علي عليه السلام، ثمّ في الحسين عليه السلام، ثم هي شورى بين أولادهما،

فمن خرج منهم مستحقاً للإمامة فهو الإمام<sup>(١)</sup>. والملاحظ أنّ عقيدة الزيدية قريبة من التشيع بالمعنى العام الذي تميّزت به المعتزلة البغدادية وبعض البصريين منهم. كما مرّ فيما سبق.

٢ - الإسماعيلية: وهؤلاء ساقوا الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى ابنه إسماعيل الذي توفي في حياة أبيه، ولكن هؤلاء ادّعوا أنّ إسماعيل لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض.

ومن عقائدهم أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، فالسموات السبع والأرضون السبع إشارة إلى الأئمة السبعة، وقد جاء في كتاب قواعد عقائد آل محمد أنّ للشرائع باطناً لا يعرفه إلا الإمام ومن ينوب منابه، وكذلك كلّ ما ورد في الحشر والنشر وغيرها، فكلّها أمثلة ورموز إلى بواطن، فمعنى الغسل تحديد العهد عليه، ومعنى الجماع مما لا عهد له في الباطن.. والصلاة الدعاء إلى الإمام، والزكاة بعث العلوم لمن يتزكّى لها ويستحقّها، والصوم كتمان العلم عن أهل الظاهر، والحج طلب العلم، والكعبة النبيّ، والباب عليّ، والصفاء النبيّ،

(١) تاريخ الفرق الإسلامية، الفرق بين الفرق: ٣٩.

والمروءة عليّ، والميقات الإمام، والتلبية إجابة الداعي إلى باطنهم، والطواف بالبيت سبعاً هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة... إلى غيرها من العقائد الغريبة<sup>(١)</sup>. ويمكننا أن نلاحظ أنّ هذه الفرق لا تعبّر عن التشيع الذي أسسه النبي ﷺ وامتدّ إلى يومنا هذا والذي حملت رسالته وهمومه الشيعة الاثني عشرية.

### الغلوّ والغلاة

لقد كان الباعث لكتابة هذا المبحث - رغم انقراض معظم الغلاة وفرقهم - هو الخلط الذي وقع فيه الباحثون قديماً وحديثاً بينهم وبين الشيعة الاثني عشرية - إما عمداً أو جهلاً - فنسبوا الكثير من عقائد الغلاة للشيعة عموماً، وقد اتخذ البعض من لفظة (الرافضة) ستاراً للتعتيم عند الكلام عن الشيعة والطعن فيهم، فهم يجمعون بين عقائد مختلف الفرق الغالية وبين عقائد غيرهم تحت اسم الرافضة أو الروافض.

إنّ ابن تيمية - مثلاً - ذكر الكثير من العقائد الفاسدة

(١) قواعد عقائد آل محمد: ٨ باختصار .

والأمور الغريبة ونسبها الى الرافضة بشكل عام بحيث يوحى للقارئ أنّ هذه هي عقائد الشيعة عامة، ولكنه بعد أن يستغرق عدة صفحات في ذلك يعود الى القول: ومما ينبغي أن يُعرف أنّ ما يوجد في جنس الشيعة من الأقوال والأفعال المذمومة، وإن كان أضعاف ما ذكر، لكن قد لا يكون هذا كله في الإمامية الاثني عشرية ولا في الزيدية، ولكن يكون كثير منه في الغالية وفي كثير من عوامهم<sup>(١)</sup>.

إنّ المشكلة تتلخص في أنّ الكثير من أولئك المنحرفين والغلاة كانوا يدّعون موالاته أهل البيت عليهم السلام، وبما أنّ مصدر معظم تلك الفرق والحركات كانت مدينة الكوفة والتي كانت نقطة احتكاك مع كثير من أصحاب العقائد الموروثة من قبل أهل البلاد الأصليين كالمانوية والثنوية التي نشأت في كنف المجوسية، اضافة الى عقائد الحلول والاتحاد والتناسخ التي جاءت من ديانات الهند وغيرها من البلاد المتاخمة لها، فكان انتشار هذه العقائد يجد مجالاً بين البسطاء والمنحرفين خلقياً.

ونظراً لما كان يتمتع به أهل البيت عليهم السلام من مكانة

(١) منهاج السنّة النبوية ١: ٥٧.

مرموقة في نفوس المسلمين عامة وشيعتهم من أهل الكوفة خاصة، فقد ادعى أولئك الغلاة الانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام وأدعوا أنهم من شيعتهم لكي يستميلوا قلوب الناس إليهم فيسهل عليهم ترويج عقائدهم.

وقد نبّه أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى تلك الخطط وحدّروا شيعتهم والمسلمين عامة من مكائد الغلاة كما مرّ ويأتي. إنّ المشكلة في الغلو هي عدم تحديد مفهومه أحياناً بشكل واضح ممّا يؤدي إلى الخلط طبعاً. لذا فإنّ الأمر يحتاج إلى بعض التوضيح.

فالغلوّ في اللغة: هو الخروج عن القصد وتجاوز الحد، وبهذا يكون كلّ خروج عن الاعتدال غُلُوّاً. قال ابن منظور: غلا في الدين والأمر، يغلو غُلُوّاً: جاوز حدّه.

وفي التنزيل: لا تغلو في دينكم... وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلواً وغلانية وغلانياً: إذا جاوزت فيه الحدّ وأفرطت فيه<sup>(١)</sup>...

أمّا اصطلاحاً فلم نجد تعريفاً جامعاً للغلوّ، ولكن يمكننا

(١) لسان العرب ١٥: ١٣٢.

أن نستنتج ممّا وجدناه من أقوال العلماء في مصاديق الغلو أنّه: الخروج عن القصد في الاعتقاد بأشخاص ورفعهم فوق مراتبهم بما ليس فيهم.

فالغلو قد يتدرج من المبالغة في الفضائل وينتهي إلى رفع الأشخاص إلى مرتبة النبوة والالوهية. ويمكننا أن نعتبر المبالغة في الفضائل نوعاً من الغلو، فكتب الحديث مشحونة بفضائل مفتعلة لبعض الصحابة، وضعت أيام بني أمية بهدف طمس فضائل علي عليه السلام والخط من مكانة بني هاشم - كما اعترف بذلك بعض ثقة حفاظ الجمهور كالمدائني ونفطويه - كمواقفات عمر بن الخطاب مثلاً، وكقولهم أنّ الله يتجلّى للناس عامة ولأبي بكر خاصة؛ واستحياء الملائكة من عثمان فضلاً عن مثل فضائل عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير، ممن حارب علياً عليه السلام وهو الإمام المفترض الطاعة بالإجماع. وهكذا غلو بعض المتصوفة في شيوخهم وادّعائهم أموراً شنيعة فيهم ورفعهم فوق مراتب الأنبياء أحياناً، وما وضعه بعض أتباع أرباب المذاهب الأربعة في فضائل أئمة مذاهبهم والغلو فيهم إلى حدّ الشطط. كما وأنّ فرقة الروندية قد غلت في بني العباس إلى حدّ الكفر، حيث ادّعت هذه الفرقة أنّ أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن



العباس بن عبدالمطلب، لأنه مات عنده بأرض الشراة في بلاد الشام، وأنه دفع إليه الوصية عن طريق أبيه علي بن عبدالله، لأن علياً كان لا يزال صغيراً، فهو الإمام وهو الله عز وجل، وهو العالم بكل شيء، فمن عرفه فليصنع ما شاء! ثم إن محمد بن علي أوصى إلى ابنه إبراهيم بن محمد الملقب بالإمام، وهو أول من عقدت له الإمامة من ولد العباس، وإليه دعا أبو مسلم الخراساني، ثم أوصى إبراهيم إلى أخيه أبي العباس عبدالله بن محمد الملقب بالسفاح، وهو أول الخلفاء العباسيين، وهو بدوره أوصى إلى أخيه أبي جعفر عبدالله بن محمد الملقب بالمنصور الذي أوصى بدوره إلى ابنه المهدي محمد بن عبدالله الذي غيّر الوصية بعد تولّيه الخلافة وأنكر أن تكون الوصية من النبي ﷺ إلى محمد ابن الحنفية، بل ادّعى أنّ النبي ﷺ أوصى إلى العباس بن عبدالمطلب وقال: إنّ العباس كان عمه ووارثه وأولى الناس به، وأنّ أبابكر وعمر وعثمان وعليّاً وكلّ من دخل في الخلافة بعد النبي ﷺ غاصبون متوتّبون عليها! فأجابوه إلى ذلك، فعقد الإمامة للعباس بعد رسول الله ﷺ ثم لعبدالله بن العباس، ثم لابنه علي بن عبدالله، ثم لإبراهيم بن محمد الإمام، ثم لأخيه عبدالله، ثم لأخيه أبي العباس، ثم لأخيه أبي جعفر المنصور، وهكذا...

وقالت الروندية - نسبة الى عبدالله الروندي -: إنّ الإمام عالم بكلّ شيء، وهو الله عزّ وجل، وهو يحيي ويميت، وأنّ أبا مسلم الخراساني نبيّ مرسل يعلم الغيب، أرسله أبو جعفر المنصور وأنّ المنصور هو الله، وأنّه يعلم سرّهم ونجواهم، وأعلنوا دعوتهم ودعوا إليها، فلما بلغ المنصور ذلك عنهم أخذ منهم جماعة فأقرّوا بذلك، فاستتابهم وأمرهم بالرجوع عن قولهم ذلك، فقالوا: المنصور ربّنا، وهو يقتلنا شهداء كما قتل أنبياءه ورسله على يدي من يشاء من خلقه، وأمات بعضهم بالهدم والغرق، وسلّط على بعضهم السباع، وقبض أرواح بعضهم فجأة أو بالعلل كيفما يشاء، وذلك له، يفعل ما يشاء بخلقهم، لا يُسأل عما يفعل<sup>(١)</sup>.

والغلوّ موجود بين أهل الأديان السابقة للإسلام، فاليهود ادّعوا الألوهية في عزير الذي تقول بعض الروايات أنّه الذي ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ونقل الكتاب العزيز مقالتهم الشنيعة: ﴿وقالت اليهود

(١) أنظر فرق الشيعة للنوبختي: ٤٦ - ٥٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٩.

عزيرُ ابن الله... ﴿١﴾، وذلك لأنَّ عزيراً كما تقول الروايات قد ظهرت فيه هذه المعجزة التي جعلت اليهود يعتقدون فيه الألوهية أو جزءاً منها.

وما حدث عند اليهود حدث مثله عند النصارى، إذ غلوا في نبيهم عيسى وادعوا فيه الألوهية، فذكرهم الكتاب العزيز في نفس الآية السابقة بعد ذكر اليهود، فقال عزّ من قائل: ﴿وقالت اليهود عزيرُ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يُضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ ﴿٢﴾.

لهذا جاء ذمّ القرآن الكريم لهم وزجرهم عن تلك المقولات الباطلة، فقال عزّ من قائل: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ ﴿٣﴾.

فليس من المستبعد إذاً أن يكون الغلو قد دخل على المسلمين بسبب احتكاكهم بأهل الكتاب مثلما ظهرت المقولات الفاسدة الأخرى نتيجة للاحتكاك بالأقوام التي كانت تدين بديانات كالمجوسية وغيرها، فضلاً عن أن بعض

(١) سورة التوبة: ٣٠.

(٢) سورة التوبة: ٣٠.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

أهل الكتاب - وبعضهم كان ممن تظاهر باعتناق الإسلام - قد عملوا على بثّ الغلو في عقائد ضعفاء المسلمين كيداً بهم ورغبة في تدمير الإسلام من الداخل.

فالغلو لم تسلم منه فرق المسلمين، وأنّ اتباع هذه الفرق من العلماء وغيرهم قد اغرقوا في مدح رؤسائها الى أن خرجوا به عن طريق المعقول وتجاوزوا فيه حدود المنطق<sup>(١)</sup>.

(١) وإليك بعض كلماتهم في ذلك:

قالوا: إنّ الله خصّ أبا حنيفة بالشرعة والكرامة. ومن كرامته أنّ الخضر عليه السلام كان يجيئ إليه كل يوم وقت الصبح ويتعلّم منه أحكام الشريعة الى خمس سنين. فلما مات أبو حنيفة ناجى الخضر ربّه وقال: إلهي، إن كان لي عندك منزلة فأذن لأبي حنيفة حتى يعلمني من القبر على حسب عادته حتى أتعلّم شرع محمد صلى الله عليه وآله على الكمال، فأحياه الله، وتعلّم منه العلم الى خمس وعشرين سنة. وبعد أن أكمل الخضر دراسته، أمره الله أن يذهب الى القشيري ويعلمه ما تعلّم من أبي حنيفة. وصنّف القشيري ألف كتاب، وهي لا تزال وديعة في نهر جيحون، الى رجوع المسيح، فيحكم بتلك الكتب. لأنّه يأتي في زمان ليس فيه من كتب شرع محمد صلى الله عليه وآله فيتسلّم المسيح أمانة نهر جيحون، وهي كتب القشيري.

الإشاعة في أشراف الساعة: ١٢٠، والياقوتة لابن الجوزي: ٤٥. وفي وفاة أبي حنيفة يذكرون بكاء الجنّ له، ولهم أسانيدهم أنّ الجنّ

←

→ بكت أبا حنيفة ليلة مات، وكانوا يسمعون الصوت ولا يرون الشخص:

ذهب الفقه فلا فقه لكم

فاتقوا الله وكونوا خلفا

مات نعمان فمن هذا الذي

يحيي الليل إذا ما سدفا

آكام المرجان للقاضي الشبلي: ١٤٩.

وقالوا: أحمد بن حنبل إمام المسلمين وسيد المؤمنين، وبه نحيا ونموت،

وبه نبعث. فمن قال غير هذا فهو من الجاهلين.

ذيل طبقات الحنابلة ١: ١٣٦.

وجعلوا بغضه كفراً وحبّه من السنّة.

وقالوا: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فأعلم أنه صاحب سنّة

وجماعة.

الجرح والتعديل ١: ٣٠٨.

وأسندوا الى الشافعي أنّه قال: من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر. ف قيل

له: تطلق عليه اسم الكفر بالله العظيم؟ فقال: نعم، من أبغض أحمد بن

حنبل قصد الصحابة، ومن قصد الصحابة أبغض النبي، ومن أبغض النبي

كفر بالله العظيم. طبقات الحنابلة ١: ١٣.

فيكون الناتج من هذه القضية أن من أبغض أحمد بن حنبل كفر بالله

العظيم.

نقل ابن الجوزي عن علي بن اسماعيل أنّه قال: رأيت أنّ القيامة قد قامت

وكأنّ الناس قد جاءوا الى موضع عند قنطرة، لا يترك أحد يجوز حتى

←

→ يجيء بخاتم، ورجل ناحية يختم للناس ويعطيهم، فمن جاء بخاتم جاز، فقلت: من هذا الذي يعطي الخواتيم؟ فقالوا: هذا أحمد بن حنبل. ابن الجوزي: ٤٤٦.

ويقول الأسود بن سالم: أتاني آت وقال لي: يا أسود الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: هذا أحمد بن حنبل يرد الأمة عن الضلالة فما أنت فاعل؟ وإلا هلكت.

ويقول الحسن الصواف: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا حسن من خالف أحمد بن حنبل عذب. مناقب أحمد بن حنبل، لابن الجوزي: ٤٦٦.

ويقول أبو عبد الله السجستاني: رأيت رسول الله في المنام، فقلت: يا رسول الله من تركت لنا في عصرنا هذا من أمتك نقتدي به في ديننا؟ قال: عليك بأحمد بن حنبل.

مناقب أحمد بن حنبل لابن الجوزي: ٤٦٨.

وقد لجأ مالك إلى المنامات بنفسه، فكان يقول: ما بت ليلة إلا رأيت رسول الله ﷺ. الديباج: ٢١.

وعن خلف بن عمر: دخلت على مالك فقال لي: أنظر ما ترى تحت مصلاي. فنظرت فإذا أنا بكتاب، قال: اقرأه، فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه. فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجده قد اجتمع الناس عليه، فقال لهم: إني قد خبأت لكم طيباً وعلماً، وأمرت مالكا أن يفرقه على الناس. فأنصرف الناس وهم يقولون: إذاً ينفذ مالك ما أمره رسول الله ﷺ، ثم بكى، فقممت عنه. مناقب مالك: ٨، وحلية الأولياء

←

→ ٣١٧:٦

وقال محمد بن رمح: حججت مع أبي وأنا صبي لم أبلغ الحلم، فنمت في مسجد النبي ﷺ بين القبر والمنبر، فرأيت النبي ﷺ قد خرج من القبر متكئاً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسلمت عليهم، فردوا علي السلام، فقلت: يا رسول الله، أين أنت ذاهب؟ فقال: أقيم لمالك الصراط المستقيم. فأنتهت، فأتيت أنا وأبي مالكا، فوجدنا الناس مجتمعين عليه، وقد أخرج لهم الموطأ أول ما خرج. مناقب مالك لعيسى بن مسعود الزواوي: ١٧.

وقال محمد بن رمح أيضاً: رأيت النبي ﷺ في المنام منذ أربعين سنة فقلت: يا رسول الله مالك والليث يختلفان في المسألة؟ فقال النبي ﷺ: مالك وارث وارث ورث جدي يعني إبراهيم. الجرح والتعديل ٢٨:١. وقال بشير بن أبي بكر: رأيت في النوم أني دخلت الجنة، فرأيت الأوزاعي وسفيان الثوري، ولم أر مالك بن أنس. فقلت أين مالك؟ قالوا: وأين مالك؟ رفع مالك رفع مالك. فما زال يقول: وأين مالك، وأين مالك، رفع مالك حتى تسقط قلنسوته. المصدر السابق.

وروى أبو نعيم عن إبراهيم بن عبد الله قول إسماعيل بن مزاحم المروزي قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله من نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس.

حلية الأولياء ٣١٧:٦.

وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: سمعت رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فقال أيكم مالك؟ فقالوا: هذا. فسلم عليه، واعتنقه، وضمه إلى صدره

←

فكما أن الديانات السابقة على الإسلام لم تسلم من الغلو بمختلف مظاهره ومصاديقه، كذلك لم تسلم منه فرق المسلمين، إلا أن المؤرخين للفرق والباحثين فيها قلما ينسبون الغلو إلى إحدى فرق الإسلام باستثناء الشيعة تمشيًا

→ وقال: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ البارحة جالساً في هذا الموضع، فقال: اثتوا بمالك. فأتني بك ترعد فرائصك، فقال: ليس بك بأس يا أبا عبد الله، وكناك وقال: اجلس. فجلست. قال: افتح حجر ك. ففتحته، فملاؤه مسكاً منثوراً، وقال: ضمّه إليك، وبثّه في أمتي. قال: فبكى مالك وقال: الرؤيا تسر ولا تغر وإن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله. الانتقاء: ٣٩، وشرح الموطأ للزرقاني ١: ٤. قال العدوي: لما مات شيخنا شيخ الإسلام اللقاني رآه بعض الصالحين في المنام فقال: ما صنع الله بك؟ فقال: لما أجلسني الملكان في القبر يسألاني أتاني الإمام مالك فقال: مثل هذا يحتاج إلى سؤال في إيمانه؟ تنحيا عنه، فتنحيا عني. مشارق الأنوار للعدوي: ٢٢٨. ومنها: إن النبي ﷺ هو الذي سمى كتاب مالك بالموطأ وأنه سئل ﷺ في المنام: أن مالك والليث يختلفان في المسألة فأيهما أعلم؟ فقال: مالك وارث جدي يعني إبراهيم عليه السلام.

مناقب مالك للزاوي: ١٨. وأنه سئل ﷺ مرة أخرى في المنام: من نسأل بعدك يا رسول الله؟ فقال: مالك بن أنس. مناقب مالك للزاوي: ١٨ نقلاً عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر.



مع الخط الذي رسمته الحكومات المعادية لمذهب أهل البيت عليه السلام منذ قرون متطاولة، رغم أننا ذكرنا باختصار عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية وبيّنا أنّ التوحيد وتنزيه الربّ تعالى هو من صلب عقيدتهم، وسوف نستعرض أقوال بعض علماء الشيعة الاثني عشرية القدماء والمعاصرين حول الغلو، ليتبين موقف الاثني عشرية منه ورأيهم في الغلاة.

قال الشيخ المفيد: والغلاة من المتظاهرين بالإسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته الى الإلهية والنبوة ووصفوههم بالفضل في الدين والدنيا الى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا من القصد، وهم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم بالاكفار والخروج عن الإسلام<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الصدوق: اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنّهم كفّار بالله - جلّ جلاله - وأنّهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية، ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلّة<sup>(٢)</sup>.

وقال المحقق الحلي: وأما الغلاة، فخارجون عن الإسلام

(١) تصحيح الاعتقاد: ٦٣.

(٢) الاعتقادات: ١٠٩.

وإن انتحلوه<sup>(١)</sup>.

وقال النراقي: لا ينبغي الريب في نجاسة الغلاة، وهم القائلون بالوهمية عليّ أو أحد من الناس<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: وكذا لا تجوز الصلاة على النواصب والخوارج والغلاة، وإن كانوا من المنتحلين للإسلام بالاجماع<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ الجواهري: أما الغلاة والخوارج والنواصب وغيرهم ممن عُلم منهم الإنكار لضروريات الدين، فلا يرثون المسلمين قولاً واحداً<sup>(٤)</sup>.

وقال الآقا رضا الهمداني: بقي الكلام في بعض الفرق المحكوم بكفرهم منهم: الغلاة، ولا شبهة في كفرهم بناء على تفسيرهم بمن يعتقد ربوبية أمير المؤمنين عليه السلام أو غيره من الخلق<sup>(٥)</sup>.

وقال السيد محمد رضا الكلبيكاني: مسألة ٧٤٨: يشترط

(١) المعتبر ٩٨:١.

(٢) مستند الشيعة ٢٠٤:١.

(٣) مستند الشيعة ٢٧٠:٦.

(٤) جواهر الكلام ٣٩:٣٢.

(٥) مصباح الفقيه ١: ٢: ٥٦٨.

في الذابح أن يكون مسلماً أو بحكمه كالمتولد منه، فلا تحل ذبيحة الكافر مشركاً كان أم غيره، حتى الكتابي على الأقوى، ولا يشترط فيه الإيمان، فتحل ذبيحة جميع فرق الإسلام عدا النواصب المحكوم بكفرهم، وهم المعلنون بعداوة أهل البيت عليهم السلام وإن أظهروا الإسلام، وكذا غيرهم من المنتحلين للإسلام المحكوم بكفرهم، مثل الغلاة والخوارج<sup>(١)</sup>.  
فمن هنا يتبين أن علماء الشيعة يحكمون بكفر الغلاة ونجاستهم ويرتبون على ذلك أحكاماً فقهيّة تقضي بنجاسة الغلاة وعدم استحلال ذبائحهم ومنع توريثهم.  
أما علماء الجرح والتعديل من الشيعة: فموقفهم من الغلاة في غاية الوضوح، فمنهم:

#### ١ - عبدالله بن سبأ:

قال الكشي في ترجمته: كان يدّعي النبوة، وأنّ علياً عليه السلام هو الله، فاستتابه ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه بالنار في جملة سبعين رجلاً، ادعوا فيه ذلك<sup>(٢)</sup>.  
وقال فيه الشيخ الطوسي وابن داود: عبدالله بن سبأ الذي

(١) هداية العباد ٢: ٢١٧.

(٢) رجال الكشي ١: ٣٢٣ الرقم ١٧٠.

رجع الى الكفر وأظهر الغلو<sup>(١)</sup>.

وقال فيه العلامة الحلي: غالي ملعون حرّقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، كان يزعم أنّ عليّاً عليه السلام إله، وأنّه نبيّ، لعنه الله<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الكشي عن أبان بن عثمان، قال: سمعت أبا عبدالله - يعني الإمام الصادق عليه السلام - يقول: لعن الله عبدالله بن سبأ، إنّه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام! وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإنّ قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ الى الله منهم، نبرأ الى الله منهم<sup>(٣)</sup>.

وروى الكشي عن عبدالله، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّا أهل بيت صديقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق الناس لهجة وأصدق البرية كلّها، وكان مسيلمته يكذب عليه. وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد الرسول، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على الله

(١) رجال الطوسي: ٥١، رجال ابن داود: ٢٥٤.

(٢) الخلاصة: ٢٥٤.

(٣) رجال الكشي ١: ٣٢٤ الرقم ١٧١.

الكذب: عبدالله بن سبأ»<sup>(١)</sup>.

٢- وفي بحار الأنوار زيادة على ما تقدم: وكان أبو عبدالله الحسين بن علي عليه السلام قد أبتلي بالمختار، ثم ذكر أبو عبدالله عليه السلام الحارث الشامي وبنائاً، فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين عليه السلام، ثم ذكر المغيرة بن سعيد، وبزيعاً، والسري، وأبا الخطاب، ومعمراً، وبشار الشعيري، وحمزة الترمذي، وصائد التهدي، فقال: لعنهم الله، إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤونة كل كذاب وأذاقهم حرّ الحديد»<sup>(٢)</sup>.

#### موقف الأئمة الأبرار وشيعتهم من الغلاة

لقد أخبر النبي الكريم ﷺ أصحابه بما سيكون في أمته من الفتن، وكان من بين الأمور التي أسرها إلى وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام: أن قوماً ينتحلون محبته سيغلون فيه غلوّاً يخرجهم من ملة الإسلام ويدخلهم في ملة الكفر والشرك، فعن أحمد بن شاذان بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام،

(١) رجال الكشي ١: ٣٢٤، الرقم ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٢٦٣.

قال: «قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى بن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنة، وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوك وهم الشاكّون، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنة يا علي وشيعتك ومحّب شيعتك، وعدوك والغالي في النار»<sup>(١)</sup>.

### موقف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من الغلاة

لقد تصدّى أمير المؤمنين عليه السلام للغلاة ولعنهم وعاقبهم بشدة وتبرأ منهم، فعن ابن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم آتني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً»<sup>(٢)</sup>. وقال عليه السلام: «إياكم والغلوّ فينا، قولوا إنّنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»<sup>(٣)</sup>. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل من الأحرار إلى أمير

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٢٦٥.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ٥٤.

(٣) بحار الأنوار ٢٥: ٢٧٠.

المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، متى كان ربك؟ فقال له عليه السلام:  
 ثكلتك أمك، ومتى لم يكن حتى يقال متى كان! كان ربّي قبل  
 القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته،  
 انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية.  
 فقال: يا أمير المؤمنين، أفنبّي أنت؟  
 قال: ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup>.  
 وقال عليه السلام: «إنما الوقوف علينا في الحلال والحرام، فأما  
 النبوة فلا» <sup>(٢)</sup>.

#### موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من الغلاة

قال عليه السلام: «لعن الله من كذب علينا، إنّي ذكرت عبد الله بن سبأ  
 فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادّعى أمراً عظيماً، ما له لعنه  
 الله؟! كان عليّ والله عبداً صالحاً أخاً رسول الله صلى الله عليه وآله، ما نال  
 الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله  
 الكرامة من الله إلا بطاعته».  
 وقد أخبر عليه السلام أبا خالد الكابلي بما سيقع في الأمة من

(١) أصول الكافي ٨٩:١

(٢) بحار الأنوار ٨٣:٢٦، دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف  
 الحسني: ٢٩٩.

الغلو كما وقع عند اليهود والنصارى، فقال له: «إنَّ اليهود أحبوا عزيزاً حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزيز منهم ولا هم من عزيز، وإنَّ النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وإنَّا على سنَّة من ذلك، إنَّ قوماً من شيعتنا سيحبُّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزيز، وما قالت النصارى في عيسى بن مريم، فلا هم منا ولا نحن منهم»<sup>(١)</sup>.

#### موقف الإمام محمد الباقر عليه السلام من الغلاة

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: «لعن الله بنان البيان، وأنَّ بناناً لعنه الله كان يكذب على أبي، أشهد أنَّ أبي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً»<sup>(٢)</sup>.

#### موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام من الغلاة

لقد استفحل أمر الغلاة في زمن الإمام الصادق عليه السلام، ذلك أنَّ الإمام عليه السلام كان قد بدأ بنشر العلوم المختلفة بين تلاميذه، حتى طار صيته في الآفاق وكثر أتباعه وتلاميذه، وكان يخبر الناس بكثير من الأمور التي يجهلونها، والتي تلقاها عن

(١) رجال الكشي ٣٣٦:٢.

(٢) رجال الكشي ٥٩٠:٤.



آبائه عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتوهم بعض البسطاء أنَّ الإمام يعلم الغيب، وأنَّ علم الغيب يستلزم الألوهية ، وقد استغلَّ بعض الدهاة هؤلاء البسطاء لتحقيق أغراضهم في تخريب عقائد الناس، وبخاصة الذين دخلوا في الإسلام حديثاً، من السودان والزلط وغيرهم ممن كانوا حديثي عهد بعقائدهم المتوارثة، وكذلك استغلال بعض احتياجاتهم المادية والروحية فحرفوهم عن جادة الصواب، حتى قالوا في الإمام الصادق عليه السلام ما قالوا، فقد روى مالك بن عطية عن بعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ، قال : خرج إلينا أبو عبد الله عليه السلام وهو مغضب، فقال: «إني خرجت آنفاً في حاجة، فتعرَّض لي بعض سودان المدينة فهتف بي: لبيك يا جعفر بن محمد لبيك، فرجعت عودي على بدئي إلى منزلي خائفاً ذعراً مما قال، حتى سجدت في مسجدي لربي وغفرت له وجهي وذلللت له نفسي وبرئت إليه مما هُتف بي، ولو أنَّ عيسى بن مريم عدا ما قال الله فيه إذا لَصِمَ صَمًّا لا يسمع بعده، وعمي عمي لا يبصر بعده أبداً، وخرس خرساً لا يتكلم بعده أبداً، ثم قال: لعن الله أبا الخطاب وقتله بالحديد»<sup>(١)</sup>. وروى أبو عمرو الكشي عن سعد ، قال: حدَّثني أحمد

---

(١) الكافي ٢٢٦:٨.

بن محمد بن عيسى، عن الحسين ابن سعيد بن أبي عمير، عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ بَنَانًا وَالسَّري وبزيعاً لعنهم الله تراءى لهم الشيطان في أحسن ما يكون صورة آدمي من قرنه الى سرتة».

قال: فقلت إن بناناً يتأول هذه الآية: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾<sup>(١)</sup>. إن الذي في الأرض غير إله السماء، وإله السماء غير إله الأرض، وأن إله السماء أعظم من إله الأرض، وأن أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظمونه، فقال: «والله ما هو إلا وحده لا شريك له، إله من في السماوات وإله من في الأرضين، كذب بنان عليه لعنة الله، لقد صغر الله جلّ وعزّ، وصغر عظمته»<sup>(٢)</sup>.

وروى الكشي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ جل: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ تنزل على كل أفاك أثيم<sup>(٣)</sup>.

قال عليه السلام: «هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبنان، وصائد، وحمزة بن عمار الزبيدي، والحارث الشامي، وعبد الله بن عمرو

(١) الزخرف: ٨٤.

(٢) رجال الكشي ٤: ٥٩٢.

(٣) الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢.

ابن الحارث، وأبو الخطاب»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الكشي عن حمدويه، قال: حدثنا يعقوب، عن ابن أبي عمير، عن عبد الصمد بن بشير عن مصادف، قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة<sup>(٢)</sup> ودخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك، فخرّ ساجداً وألّزق جؤجؤه بالأرض وبكى، وأقبل يلوذ باصبعه ويقول: بل عبد الله، قنّ داخراً، مراراً كثيرة، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته، فندمت على إخباري إياه، فقلت: جعلت فداك، وما عليك أنت ومن ذا؟ فقال: يا مصادف، إن عيسى لو سكت على ما قالت النصارى فيه لكان حقاً على أن يصمّ سمعه ويعمي بصره، ولو سكت عما قال في أبي الخطاب لكان حقاً على الله أن يصمّ سمعي ويعمي بصري<sup>(٣)</sup>. وروى الكليني عن سدير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون بذلك علينا قرآناً: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾<sup>(٤)</sup>.

فقال: «يا سديراً سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي

(١) رجال الكشي ٤: ٥٩١.

(٢) يعني قولهم بربوبية الإمام.

(٣) رجال الكشي ٤: ٥٨٨.

(٤) الزخرف: ٨٤.

وشعري من هؤلاء براء، برئ الله منهم، ماهؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم». قال:

قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرأون علينا بذلك قرآنًا: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فقال: «يا سديرا! سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم. قال:

فقلت: فما أنتم؟ قال: نحن خُزَّان علم الله، نحن تراجعمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض»<sup>(٢)</sup>.

وكان المغيرة بن سعيد أحد أقطاب الغلاة الذين يستميلون البسطاء بأساليب من الخداع والسحر، ثم يزيّنون لهم الغلوّ في الأئمة عليهم السلام، فتصدّى له الإمام الصادق عليه السلام

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) أصول الكافي ١: ٢٦٩.

وأخبر أصحابه بحقيقة هذا المغالي وكشف ألامعيه وفضحه، فقال لهم يوماً: لعن الله المغيرة ابن سعيد، ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي عليه السلام، فسلبه الله الإيمان، وإن قوماً كذبوا عليّ، مالهم أذاقهم الله حرّ الحديد، فوالله مانحن إلّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، لا نقدر على ضر ولا نفع إن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميتون و مقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، مالهم لعنهم الله! فلقد آذوا الله، وآذوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام، وها أنا ذا بين أظهركم، لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وجلد رسول الله صلى الله عليه وآله، أبيت على فراشي خائفاً وجللاً مرعوباً، يأمنون وأفزع، ينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري. أبرأ إلى الله ممّا قال فيّ الأجدع البرّاد عبد بني أسد، أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب أن لا يقبلوه، فكيف وهم يروني خائفاً وجللاً؟ استعدي الله عليهم، واتبرأ إلى الله منهم، أشهدكم أنني امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً، أو أشدّ عذابه.

كما نفى الإمام الصادق عليه السلام ما ينسبه إليه الغلاة من علم الغيب والخلق والرزق وغير ذلك، فعن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون، قال: ما يقولون؟ قلت: يقولون: تعلم قطر المطر، وعدد النجوم، وورق الشجر، ووزن ما في البحر، وعدد التراب. فقال: سبحان الله، سبحان الله! والله ما يعلم هذا إلا الله.

وقيل له: إن فلاناً يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد؟ فقال: «ما يقدّر أرزاقنا إلا الله. ولقد احتجت إلى طعام لعيالي، فضاق صدري، وأبلغت بي الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي».

وعن زرارة، قال: قلت للصادق عليه السلام: إن رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض، قال: وما التفويض؟ قلت: يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً عليه السلام وعلياً عليه السلام، ثم فوض الأمر إليهما، فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا. فقال عليه السلام: كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فاقراً عليه الآية التي في سورة الرعد: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ <sup>(١)</sup>.

(١) سورة الرعد: ١٦.

فانصرفت الى الرجل، فأخبرته بما قال الصادق عليه السلام،  
فكأنما ألقيته حجراً، أو قال: كأنما خرس.  
وعن المفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب أبي  
الخطاب والغلاة، فقال لي: يا مفضل! لا تقاعدهم ولا تواكلهم  
ولا تشاربهم، ولا تصافحهم ولا توارثهم.

#### موقف الإمام موسى الكاظم عليه السلام من الغلاة

لقد أبتلي الإمام موسى الكاظم عليه السلام - كما أبتلي آباؤه -  
بالغلاة الذين قالوا فيه وفيهم أقوالاً ما أنزل الله بها من سلطان.  
ومن أخطر الغلاة الذين ظهوروا في عهد إمامة الكاظم عليه السلام هو  
محمد بن بشير، وكان من أصحابه ثم غلا فيه، حتى قال  
بربوبيته بعد وفاته وادّعى النبوة لنفسه.  
وقد قتل محمد بن بشير وكان سبب قتله أنه كان معه  
شعبذة ومخاريق، فكان يظهر الواقعة أنه ممن وقف على  
علي بن موسى عليه السلام، وكان يقول في موسى بالربوبية ويدّعي  
لنفسه أنه نبي<sup>(١)</sup>.

وقد تبعه على عقيدته الفاسدة قوم من البسطاء الذين

(١) رجال الكشي ٦: ٧٧٧.

خدعهم وسمّوا بالبشرية لانتسابهم الى عقيدته . ومن عقائدهم الباطلة أنّ العبادات المفروضة عليهم، والواجب أدائها هي الصلاة والصوم وإعطاء الخمس، أمّا الزكاة والحج وسائر العبادات الأخرى فهي ساقطة عنهم.

وقالوا بتناسخ الأئمة، أي كلّهم إمام واحد ينتقلون من بدن الى بدن.

وقالوا: إنّ المواساة بينهم واحدة في المأكولات والمشروبات والأموال والفروج، وأباحوا اللواط، واستندوا في ذلك الى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذَكَرَانًا وَإِنثَاءً﴾<sup>(١)</sup>.

وعندما توفي الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ادّعى هؤلاء أنّه لم يمت ولكنه غاب واستتر وهو المهدي المبشّر به، وأنه قد استخلف على الأمة محمد بن بشير وأقامه مقام نفسه.

وقد روى الكشي عن عليّ بن حديد المدائني، فقال: سمعت من سأل أبا الحسن الأول - يعني موسى الكاظم عليه السلام - فقال: إني سمعت محمد بن بشير يقول: إنّك لست موسى بن جعفر الذي أنت إمامنا وحجّتنا فيما بيننا وبين الله تعالى.

قال، فقال: لعنه الله (ثلاثاً)، أذاقه الله حرّ الحديد، قتله الله

(١) الشورى: ٥٠.



أخبت ما يكون من قتلة، فقلت له: جعلت فداك، إذا أنا سمعت منه، أو ليس حلال لي دمه مباح، كما أبيع دم السابّ لرسول الله ﷺ وللإمام؟ فقال: نعم حل والله دمه وأباحه لك ولمن سمع ذلك منه.

قلت: أو ليس هذا بسابّ لك؟ قال: هذا سابّ الله وسابّ لرسول الله وسابّ لآبائي وسابّي، وأيّ سبّ يقصر عن هذا ولا يفوقه هذا القول؟!

فقلت: أرايت إذا أتاني لم أخف أن أغمز بذلك بريئاً ثم لم أفعل ولم أقتله، ما عليّ من الوزر؟ فقال: يكون عليك وزره أضعافاً مضاعفة من غير أن ينتقص من وزره شيء، أما علمت أن أفضل الشهداء درجة يوم القيامة من نصر الله ورسوله بظهر الغيب وردّ عن الله ورسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقد ورد لعن محمد بن بشير على لسان الإمام الكاظم عليه السلام ودعا عليه. روى الكشي عن علي بن أبي حمزة البطائني، قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: لعن الله محمد بن بشير وأذاقه حرّ الحديد، إنّه يكذب عليّ، برى الله منه ويرئت الى الله منه، اللهم إني أبرأ إليك مما يدّعي في ابن بشير،

(١) رجال الكشي ٦: ٧٧٨.

اللهم أرحني منه، ثم قال: يا علي، ما أحد اجتراً أن يتعمد الكذب علينا إلا أذاقه الله حرّ الحديد، وأنّ أبا المغيرة بن سعيد كذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وأنّ أبا الخطاب كذب على أبي فأذاقه الله حرّ الحديد، وأنّ محمد بن بشير لعنه الله يكذب عليّ، برئت الى الله منه، اللهم إني أبرأ إليك ممّا يدّعيه فيّ محمد بن بشير، اللهم أرحني منه، اللهم إني أسألك أن تخلصني من هذا الرّجس النّجس محمد بن بشير، فقد شارك الشيطان أباه في رحم أمّه.

وقد استجاب الله دعاء الإمام الكاظم عليه السلام. قال علي بن حمزة: فما رأيت أحداً قُتل بأسوأ قتلة من محمد بن بشير لعنه الله <sup>(١)</sup>.

#### موقف الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من الغلاة

لقد جدّ الإمام الرضا عليه السلام في إكمال مسيرة آباءه عليهم السلام في مجال محاربة الغلوّ وفضح الغلاة والتشهير بهم وتحذير الناس منهم، فعن الحسين بن خالد الصيرفي، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر، ثم قال: لعن الله

(١) رجال الكشي ٦: ٧٧٩.

الغلاة، ألا كانوا يهوداً، ألا كانوا نصارى، ألا كانوا مجوساً، ألا كانوا قدريّة، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية. ثم قال عليه السلام: لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم، وابرأوا منهم برئ الله منهم<sup>(١)</sup>. فالإمام الرضا عليه السلام يعتبر الغلاة أسوأ أصحاب الفرق والأديان الفاسدة والمحرّفة.

وكان يقول في دعائه: اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة، فلا حول ولا قوة إلا بك. اللهم إني أبرأ إليك من الذين ادّعوا ما ليس لنا بحق، اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق والأمر، وإياك نعبد وإياك نستعين، اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلا لك، ولا تصلح الألوهية إلا لك، فالعن النصاري الذين صغّروا عظمتك، والعن المضاهين لقولهم من بريّتك، اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك، لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن منه براء كبراءة عيسى بن مريم من النصاري، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يزعمون، ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عبادك ولا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٨ باب ٤٦ ح ٢.

يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة، فقال: الغلاة كفّار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واصلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوّج منهم أو اتّمنهم على أمانة أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة، خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله ﷺ وولايتنا أهل البيت<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الإمام الرضا عليه السلام سبباً مهماً في ظهور الغلو، فعن إبراهيم بن أبي محمود، عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث قال: يابن أبي محمود! إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبواهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الاعتقادات للشيخ الصدوق: ٩٩، الآية في سورة نوح: ٢٦ و ٢٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٩ باب ٤٦ ح ٤.

(٣) الأنعام: ١٠٨.

يابن أبي محمود! إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً، فالزم طريقنا، فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه<sup>(١)</sup>.

لقد بين الإمام الرضا عليه السلام كيف أنّ الغلاة كانوا سبباً في نسبة الغلو إلى الشيعة عامة، ولهذا نجد المؤلفين في الفرق يعمّمون صفة الغلو إلى الشيعة مطلقاً وخصوصاً الإمامية منهم، اعتماداً على الأخبار التي كان يروّجها الغلاة بين الناس، فيظن المخالفون أنّ هذه الأخبار قد جاءت عن طريق الشيعة عامة فينسبون الغلو إليهم.

كما وقع الكثير من المؤلفين في خطأ فاحش حينما نسبوا إلى الشيعة القول بالتشبيه والتجسيم، مع أننا ذكرنا في بيان أصول عقائد الشيعة، وفي مطلب التوحيد أنّ الشيعة أشد تنزيهاً لله تعالى وأشدّ نفياً للتشبيه والتجسيم من غيرهم.

وقد أوضح الإمام الرضا سبب ذلك في حديث حين قال: إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر، الغلاة الذين صغّروا عظمة الله تعالى، فمن أحبّهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برّنا، ومن برّهم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٧٢ باب ما كتبه الرضا عليه السلام ح ٦٣.

فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردّنا، ومن ردّهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم، فقد أساء إلينا ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدّقهم فقد كذّبنا، ومن كذّبهم فقد صدّقنا، ومن أعطاهم فقد حرّمنا، ومن حرّمهم فقد أعطانا، يابن خالد، من كان من شيعتنا فلا يتخذنّ منهم وليّاً ولا نصيراً<sup>(١)</sup>.

### موقف الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام من الغلاة

لقد أبتلي الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام أيضاً بجماعة من الغلاة ادّعت الألوهية في الأئمة عليهم السلام، وكان زعيمهم رجل يدعى محمد بن نصير النميري، وإليه نُسبت فرقة النصيرية، وتابعه عليها شرذمة، على رأسها فارس بن حاتم القزويني وابن بابا القمي.

قال الكشي: وقالت فرقة بنوّة محمد بن نصير النميري، وذلك أنّه ادّعى أنّه نبيّ رسول، وأنّ علي بن محمد العسكري أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية ويقول بإباحة المحارم، ويحلل نكاح

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٠ - ١٣١، ح ٤٥.

الرجال بعضهم بعضاً، ويقول إنه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرم شيئاً من ذلك.. وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوّي أسبابه ويعضده. وذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً، وغلام له على ظهره، وأنه عاتبه على ذلك فقال: إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبر.

قال نصر بن الصباح: الحسن بن محمد المعروف بابن بابا، ومحمد بن نصير النميري، وفارس بن حاتم القزويني، لعن هؤلاء الثلاثة علي بن محمد العسكري عليه السلام، وذكر أبو محمد الفضل بن شاذان في بعض كتبه أن من الكذابين المشهورين ابن بابا القمي.

وقال سعد: حدّثني العبيدي، قال: كتب إليّ العسكري ابتداءً منه: أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فأبرأ منهما، فإنّي محدّرك وجميع مواليتي، وإنّي ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتّانين مؤذنين، آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أنني بعثته نبياً وأنه باب، عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد! إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل

فإنه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>. وأخرج الكشي عن إبراهيم بن شيبه أنه كتب للإمام الهادي عليه السلام فقال: جعلت فداك، إن عندنا قوماً يختلفون في معرفة فضلكم بأقاويل مختلفة تشتمل منها القلوب، وتضيق لها الصدور، ويروون في ذلك الأحاديث، لا يجوز لنا الإقرار بها لما فيها من القول العظيم، ولا يجوز ردّها ولا الجحود بها إذا نسبت إلى آبائك، فنحن وقوف عليها. من ذلك أنهم يقولون ويتأولون في معنى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾<sup>(٣)</sup>. معناها رجل، لا ركوع ولا سجود، كذلك الزكاة معناها ذلك الرجل، لا عدد دراهم ولا إخراج مال. وأشياء تشبهها من الفرائض والسنن والمعاصي، قالوها وصيّروها على هذا الحدّ الذي ذكرت لك، فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيّرهم إلى العطب والهلاك. والذين ادّعوا هذه الأشياء ادّعوا أنهم أولياء، ودعوا إلى طاعتهم، منهم علي

(١) رجال الكشي ٦: ٨٠٥ الرقم ٩٩٩.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

(٣) البقرة: ٤٣.



بن حسكة، والقاسم اليقطيني، فما تقول في القبول منهم جميعاً؟

فكتب عليه السلام: ليس هذا ديننا فاعتزله<sup>(١)</sup>.

كما أخرج عن سهل بن زياد الآدمي، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي، إن علي بن حسكة يدّعي أنه من أوليائك، وأنت الأول القديم، وأنه بابك ونبئك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والحج والزكاة والصوم، كلّ ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدّعي من الباطنية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصوم والصلاة والحج، وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً، فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة.

فكتب عليه السلام: كذب ابن حسكة عليه لعنة الله، وبحسبك إنني لا أعرفه في موالي، ماله؟! لعنه الله! فوالله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمد ﷺ إلا إلى الله وحده لا شريك له.

(١) رجال الكشي ٦: ٨٠٣.

وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رَحِمْنَا، وإن عصيناه عَذَّبْنَا، مألنا على الله من حجة، بل الحجة لله عز وجل علينا وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وانتفي إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله، والجنوهم إلى ضيق الطريق، فإن وجدت من أحدمهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر<sup>(١)</sup>.

ويتبين لنا أنّ التهرب من أداء الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها كان من أسباب هذا الغلو.

وقد كشف الإمام الصادق عليه السلام هذه النية من الغلاة، عندما سأله أحد أصحابه في مقالة قوم يدعون أن الحسين عليه السلام لم يقتل، وأنه شبهه على الناس أمره.. في حديث طويل، إلى أن قال له: يا بن رسول الله! فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟ فقال عليه السلام: ما هؤلاء من شيعتي، وإني بريء منهم... إلى أن قال: لعن الله الغلاة والمفوضة، فإنهم صغروا عظمة الله وكفروا به وأشركوا وأضلوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق.

وهكذا يتبين لنا بجلاء أنّ الأئمة عليهم السلام قد جاهدوا جهاداً مريراً ضد الغلو والغلاة، وكشفوا عن نياتهم السيئة وأهدافهم

(١) رجال الكشي ٦: ٨٠٤.

الشريرة وحذروا شيعتهم منهم، كما نصح الإمام الصادق عليه السلام شيعته بقوله: احذروا على شبابكم من الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، يدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.. ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصر فنقبله، فقليل له: وكيف ذلك؟ قال: لأن الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والصيام والزكاة والحج، فلا يقدر على ترك عاداته والرجوع الى طاعة الله عز وجل ابداً، وإن المقصر إذا عرف، عمل وأطاع.

ويتبين من الرسائل التي كان يرسلها البعض الى الأئمة يستفتونهم فيها حول الغلاة، ويشرحون لهم مقالاتهم مبددين قلقهم من انتشارها بين الشيعة، ما يدل على حرص الشيعة المخلصين على صيانة الدين من الغلاة، وقد وقفوا بوجه الغلاة بكل حزم، وناظروهم وأفحموهم في كثير من الأحيان، وعملوا بأوامر أئمتهم في مقاطعة أولئك الغلاة وفضحهم.

في تلك الظروف العصيبة. رغم ملاحقة سلطات الجور لهم والتنكيل بهم والتضييق عليهم. لقد كان من واجبه الدفاع عن دينهم وعقيدتهم

وحماية الإسلام من الانحراف المتمثل في أولئك الغلاة وتحذير الناس منهم، ومناظرتهم، وكشف دجلهم وشعوذتهم وألأعيبهم، في الوقت الذي كانوا لا يملكون سلطة تعيينهم على الحد من نشاط أولئك الغلاة، ولم تكن لهم الحرية الكافية في بث عقائدهم التي تمثل الإسلام الصحيح وتقف في وجه الانحراف الأموي والعباسي، والفرق التي تبث الغلو والانحراف في أوساط المسلمين.

ورغم كل ذلك، فقد أثمرت جهود الشيعة المضنية بفضل الله ورحمته وعنايته، وجهاد أئمتهم الكرام في الدفاع عن الإسلام الصحيح، وصيانتهم من سيطرة الانحراف عليه.

## الفصل الخامس

### حقيقة التشيع

لم تحظ طائفة من طوائف الإسلام باهتمام المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً، كما حظيت الشيعة بذلك، ويعود السبب في ذلك إلى أمور، منها: أنَّ الشيعة كانت على مرّ الأيام تمثل المعارضة الجادة للاتجاهات المنحرفة التي تبنتها الحكومات المتعاقبة على العالم الإسلامي. وكانت تلك الحكومات تجد نفسها مضطرة لتسخير وسائل إعلامها ضد هذه الطائفة وتسعى في الحطّ منها وإظهارها أمام المسلمين بمظهر الفرقة الزائغة عن الحق، وتسميتها بالمبتدعة.

ومن ناحية أخرى فإنّ التفاف الشيعة حول أهل البيت عليهم السلام، والاستهداء بتعاليمهم دون سواهم، وما كان يحظى به أهل البيت النبويّ من محبة واحترام من قبل المجتمع الاسلامي، كان يثير مخاوف هذه الحكومات من أن يبيّث الشيعة تعاليم أهل البيت بين الناس، الذين كان أغلبهم

قد وقعوا ضحية التعاليم المنحرفة التي روجتها الحكومات الظالمة، ونشر الأحاديث المفتعلة المنسوبة للنبي ﷺ والتي كانت تحاول اظهار هذه الحكومات على أنها أنظمة إسلامية تستمد شرعيتها من تعاليم الإسلام. لذا كان لابد لها من الوقوف بوجه المد الشيعة وتحديدده لمنع تسرب أفكاره الثورية الصحيحة في صفوف المسلمين.

فلم تجد هذه الحكومات والحال هذه بدءاً من الاهتمام بهذه الطائفة، بتسخير وسائل إعلامها المتاحة للنيل من سمعة هذه الطائفة وتنفير الناس منها بنسبة معتقداتها إلى أصول فاسدة لا تمت إلى الإسلام بصلة، أو إظهارها كفرقة أجنبية عن المجتمع العربي والإسلامي. ونستعرض فيما يلي باختصار الآراء المختلفة في أصل التشيع والتي يستهدف منها أصحابها تشويه الحقائق وسترها للحيلولة دون الوصول إليها.

#### شبهة الأصول اليهودية:

إن أخطر التهم التي توجه للتشيع هو زعم أن أصوله يهودية تستمد جذورها من تعاليم عبدالله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام في وقت متأخر، ورحل من بلاده -

اليمن - ليطوف الحجاز والشام والعراق ومصر ويث عقائده الفاسدة بين المسلمين والمتمثلة بالقول بأن علياً عليه السلام وصي النبي ﷺ.

يقول فريد وجدي: وكان ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) في الأصل يهودياً من أهل الحيرة، فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه يجد في التوراة أن لكل نبي وصياً، وأن علياً وصي محمد...<sup>(١)</sup> وأصل هذه الرواية في تاريخ الطبري<sup>(٢)</sup> عن طريق سيف بن عمر المطعون في عدالته بشدة من قبل المحدثين.<sup>(٣)</sup>

(١) دائرة المعارف، القرن العشرين ١٧:٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٣٧٨، أحداث سنة ٣٥ هـ.

(٣) قال ابن معين: ضعيف الحديث، وقال مرة: فليس خير منه. وقال أبو حاتم متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي، وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف. وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكورة لم يتابع عليها. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات. قال وقالوا: إنه كان يضع الحديث. قال ابن حجر: بقية كلام ابن حبان: اتهم بالزندقة. وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك. وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط. انظر تهذيب التهذيب ٤: ٢٥٩ - ٢٦٠.

وقد نقل بعض المؤرخين الذين جاءوا بعد الطبري الرواية كما هي حتى صارت مشهورة. فاعتمد عليها المؤلفون في الفرق قديماً وحديثاً دون تمحيص أو تدقيق، وهي الرواية التي قال عنها ابن حجر: لا يصح سندها.<sup>(١)</sup> ولكن المؤلفين لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقة، بل ظلوا يرددونها على مرّ القرون، فقال ابن تيمية: لما ذهّل أعداء الإسلام من قوة هذا الدين ونفاذ سلطانه وسرعة انتشاره، وقفوا قلقين حيارى، ولم يكن لهم قوة لمقاومته بالسيف، فلجأوا إلى طريق آخر للكيد، وهو الدخول في الإسلام نفاقاً، وهدم بنيان الإسلام من الداخل، وتمزيق وحدة المسلمين بنشر الفتنة، والذي فكّر وقدر ثم دبّر وخطط له، هو عبد الله بن سبأ وشرذمته.<sup>(٢)</sup>

ويمكن ملاحظة اتجاهين مهمّين فيما يتعلق بشخصية عبد الله بن سبأ: أحدهما يحاول أن يلصق بهذه الشخصية مهمة إثارة الفتنة في الساحة الإسلامية، وتحميلها أوزار كلّ المشاكل التي ظهرت بين الصحابة في زمن عثمان بن عفّان معتمدة على رواية الطبري الآنفه الذكر، والتي تعطي لابن

(١) لسان الميزان ٣: ٢٨٩ ترجمة عبد الله بن سبأ.

(٢) الصارم المسلول ١: ٢٤٦.



سبأ دوراً أسطورياً غير معقول ولا منطقي، وتجعل من عدد كبير من خيار الصحابة أتباعاً لهذا اليهودي المتستر بزي الإسلام، بينما يفترض الاتجاه الآخر أنها شخصية من نسج الخيال، للرواية الضعيفة التي أوردتها الطبري عنه. إن بعض المصادر التاريخية تفرض وجود هذه الشخصية ولكنها ترفض الدور الخطير الذي نسب إليها. وذلك لأن الروايات التي جاءت في مصادر الشيعة والسنة - عدا رواية الطبري - تؤكد أن هذه الشخصية قد ظهرت في فترة خلافة علي عليه السلام، وأنها قد غلت في شخصيته إلى حد التأليه، وأن ابن سبأ قد وجد أتباعاً له في هذا الاتجاه المنحرف، ولكن حركته لم تكن بذات خطورة كبيرة كالتي يصورها بعض الباحثين لأغراض في النفس، ولو كان ابن سبأ بهذه الدرجة من الأهمية، لما أهملته كتب الحديث المعتمدة لدى الجمهور وبخاصة الصحاح التي تخلو من أي إشارة إليه. وقد فطن بعض المستشرقين والباحثين إلى أن لتضخيم دور ابن سبأ أهدافاً سياسية أخرى للنيل من الشيعة، يقول فلهوزن: والحق أن التلقيب بلقب السبئية إنما كان يطلق على الشيعة وحدهم، واستعماله الدقيق ينطبق على غلاة الشيعة فحسب،

ولكنه كلمة ذم تطلق على جميع الشيعة على السواء.<sup>(١)</sup>  
ويقول الدكتور محمد عمارة: أمّا فيما يختصّ  
بموضوعنا، موضوع التاريخ لنشأة التشيع فإنّ وجود ابن سبأ  
- على فرض التسليم بوجوده - لا يصلح دليلاً على أنّ التشيع  
ظهر في ذلك التاريخ<sup>(٢)</sup>.. وحتى الشيعة لا يروون عنه شيئاً  
من ذلك.. ومن هنا فإنّ عصره لا يصحّ أن يتخذ بدءاً لتاريخ  
الشيعة والتشيع بالمعنى الفني المعروف.<sup>(٣)</sup>  
لكن المشكلة أنّ قضية ابن سبأ قد باتت تمسّ بعض  
عقائد الجمهور التي ساهمت السياسة في تشكيلها. ومن  
المدّهش أن يثور جدل عنيف على صفحات بعض الصحف  
السعودية - كصحيفة الرياض وغيرها - بين عدد من الاساتذة  
والباحثين حول دور ابن سبأ الموهوم، وليس من دأع لهذا  
النقاش إلّا إصرار بعض الباحثين غير المنصفين لردّ عقائد  
الشيعة إليه من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ بعض الباحثين  
المنصفين إلى حدّ ما ينظرون إلى ابن سبأ على أنّه يمثل

(١) الخوارج والشيعة: ٢٨.

(٢) قد عرفت سابقاً أنّ التشيع قد بدأ في حياة الرسول الأعظم ﷺ، أي في  
زمان لم يكن فيه أثر وذكر من ابن السوداء.

(٣) الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية: ١٥٥.

جزءاً من عقيدة الجمهور، إذ يقول الدكتور حسن بن فهد الهويمل: والجدل حول ابن سبأ يأخذ ثلاثة مستويات: المستوى السائد عند المؤرخين الإسلاميين، وهو ثبوت وجوده وثبوت دوره في الفتنة بكل حجمها المبالغ فيه. والمستوى الاستشراقي والشيوعي المتأخر، وهو انكار وجود ابن سبأ، ومن ثم انكار دوره، وعندما أقول الشيعة المتأخر فإنما أشير إلى أن المتقدمين من الشيعة لم ينكروا وجود ابن سبأ، وإن نفوا بعض أثره. والمستوى المتوسط، وهو إثبات وجود ابن سبأ والتقليل من دوره في الفتنة، وهذا ما أميل إليه.. ويأتي الدكتور الهلابي ومن بعده حسن المالكي مع تيار المتشددین المنكرين لوجود هذه الشخصية. ومع قراءتي لما كتبوا ووقوفي على الجهد المبذول في التقصي، إلا أنني لا أطمئن لما ذهبوا إليه، ولا أرتاح له؛ لأن في نفس هذه الشخصية نفساً لأشياء كثيرة وتفرغاً لكتب تراثية لكبار العلماء من أمثال: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر، والذهبي وغيرهما، فابن سبأ أو ابن السوداء يشكل مذهباً عقائدياً، ويشكل مواقف أخرى لوتداعت لكناً أمام زلزلة

تمسّ بنايات كثيرة! (١)

من هنا يتبين أنّ مسألة وجود ابن سبأ ودوره الأسطوري يشكّل اتجاهاً عقائدياً عند البعض، يترتب على وجوده الحفاظ على قدسية التراث بكلّ ما فيه من غث وسمين، وإن كانت الحقيقة أنّ مسألة ابن سبأ قد أصبحت سلاحاً في أيدي المناوئين للتشيع، في محاولتهم إلصاق عقائدهم به ليس إلا.

### شبهة الأصول الفارسية:

من المعلوم أنّ دولة بني أمية كانت دولة عربية خالصة، اعتمدت سياسة إبعاد الموالي والخطّ من شأنهم إلى أقصى الحدود، ومحاولة تمجيد العرب وتفضيلهم عليهم في كلّ شيء. وكانت مسألة إلصاق تهمة العجمة بخصومها هي إحدى وسائل الحرب الإعلامية التي تتبناها، والتي ظلّت مستمرة قرابة قرن من الزمان، ممّا ساعد على ترسيخ هذا الاتجاه الفكري عند عامة الناس.

وبما أنّ الشيعة كانوا القوة المعارضة الرئيسة لحكم الأمويين، والتي كان خطر انتشار مبادئها يهدد كيان الدولة

(١) صحيفة الرياض ٤ ربيع الأول ١٤١٨ هـ.

الأموية في الصميم، فإنّ وسائل إعلام هذه الدولة لم تكتف بالصاق تهمة انتماء الشيعة إلى أصول يهودية عن طريق ابن سبأ، بل حاولت أن توحى بأنّ فكرة التشيع فكرة فارسية مستوردة جاءت عن طريق الفرس بعد فتح بلادهم.

وقد ركّز بعض الباحثين المعاصرين على هذه المسألة، بل إنّ بعضهم قد بالغ أكثر، فحاول الجمع بين الأصول اليهودية والفارسية معاً، يقول أحمد عطية الله:

تشتمل التعاليم السبئية على جذور العقيدة الشيعية التي نبعت من أصول يهودية، وتأثرت بالمزدكية الفارسية، فأُس هذه الفرقة يهودي يمنيّ الأصل، بينما شاعت بعض العقائد الفارسية المزدكية إبان الاحتلال الفارسي لبعض أهل الجزيرة العربية، لهذا صادفت السبئية هوىّ لدى بعض أهل العراق المجاورين للفرس.

وقال أيضاً: (الحقّ الإلهي) وهي نظرية انتقلت إلى السبئية والشيعة عامة من الفرس، وتقوم على أنّ علياً هو الخليفة بعد النبي ﷺ وأنه استمدّ حقّه في الإمامة من الله، وينتقل هذا الحق بالوراثة إلى أهل بيته<sup>(١)</sup>.

(١) القاموس الإسلامي ٣: ٢٤٩.

فهذا الباحث يريد أن يربط بين توارث الأئمة عليهم السلام للإمامة وبين الأفكار الفارسية التي تسربت إلى المسلمين، بحجة أن الفرس كانوا يؤمنون بالملكية الوراثية، وهذا الرأي قد ذهب إليه كثير من الباحثين وبعض المستشرقين. الحقيقة لو أننا أخذنا هذا الرأي بنظر الاعتبار، لكان لازماً علينا أن نقول: إن الأمويين هم الذين قد أخذوا بهذا المبدأ، لأنهم حولوا الخلافة إلى ملك عضوض يتوارثه الأبناء عن الآباء، والدولة الأموية عربية خالصة كما أسلفنا، لذا فإن مسألة تأثرهم بهذا التقليد الفارسي أمر مستبعد، وعلى هذا الأساس فإن استلهام الشيعة لهذا المبدأ أمر مستبعد أيضاً، بل أكثر استبعاداً إذا ما عرفنا أن التشيع كان عربياً خالصاً كما سوف نثبت فيما بعد.

ويعزو بعض الباحثين فكرة التشيع إلى أن أكثر الشيعة الأوائل من الفرس، حيث يقول الشيخ محمد أبو زهرة: وفي الحق إننا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك ووراثته، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح. ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس الآن من الشيعة، وأن

الشيعة الأولين كانوا من الفرس<sup>(١)</sup>.

أما أن أكثر أهل فارس الآن هم من الشيعة، فهذا صحيح، ولكن فات الشيخ أبو زهرة أن معظم أهل فارس قد دخلوا في التشيع في فترة متأخرة خصوصاً في زمن الدولة الصفوية.

أما أن الشيعة الأولين كانوا من الفرس، فهذا غير صحيح، فإن استقراء التاريخ يثبت بشكل قاطع أن الشيعة الأوائل كانوا في جلهم من العرب الأقحاح، وقد أثبت ذلك المؤلفون القدماء، حيث يظهر أن التشيع كان منحصراً في مناطق محدودة من بلاد فارس، وكانت بدايته في مدينة قم، مع العلم أن أهل قم كانوا من العرب وليسوا من الفرس!

يقول ياقوت الحموي عن مدينة (قم): إنها مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من قصدها: طلحة بن الأحوص الأشعري.. وأهلها كلهم شيعة إمامية، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف سنة (٨٣هـ). ولما انهزم ابن الأشعث ورجع إلى كابل منهزماً كان في جملة إخوة يقال لهم: عبد الله والأحوص وعبد الرحمن واسحاق ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري، وكان متقدماً

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ١: ٤١.

هؤلاء الإخوة عبد الله بن سعد، وكان له ولد قدرّي في الكوفة، فانتقل منها إلى قم وكان إمامياً، وهو الذي نقل التشيع إلى أهلها فلا يوجد بها سني قط.<sup>(١)</sup>

كما ويثبت الحموي أنّ التشيع لم يدخل مدينة الري إلا في زمن المعتمد العباسي، حيث يقول: وكان أهل الري أهل سنة وجماعة، إلى أن تغلب أحمد بن الحسن المادراتي عليها، فأظهر التشيع وأكرم أهله وقربهم، فتقرب الناس إليه بعد تصنيف الكتب في ذلك، فصنّف له عبد الرحمن بن أبي حاتم كتاباً في فضائل أهل البيت وغيره، وكان ذلك في أيام المعتمد، وتغلّبه عليها في سنة (٢٧٥ هـ)<sup>(٢)</sup>.

والمقدسي يؤكد أنّ الغالب على أهل فارس هو المذهب الحنفي والشافعي، ولم يشر إلى وجود للتشيع بينهم في زمنه، حيث يقول: ولم أر السواد الأعظم إلا من أربعة مذاهب: أصحاب أبي حنيفة بالشرق، وأصحاب مالك بالمغرب، وأصحاب الشافعي بالشام وخزائن نيسابور، وأصحاب الحديث بالشام - وبقية الأقاليم ممتزجون والغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة... وبالكوفة الشيعة إلا الكناسة فإنها سنة -

(١) معجم البلدان ٧: ١٥٩.

(٢) المصدر السابق ٣: ١٢١.



وفي الموصل حنابلة و جلبة للشيعة.<sup>(١)</sup>

وينقل لنا ابن الفقيه نصاً مهماً على لسان محمد بن علي قائد الثورة العباسية على الأمويين، وهو يوصي أفراد تنظيمه بما يجب عمله، ويقسم لهم المناطق التي تصلح للعمل فيها لبث دعوتهم، فيقول: أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، وتقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب أعلاج، ومسلمون في أخلاق النصاري، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليها أبوبكر وعمر. ولكن عليكم بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم يتوزعها النحل، وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحن وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة من أجواف منكرة، وبعد فاني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق.<sup>(٢)</sup>

(١) أحسن التقاسيم ١٣٦: ١٤٢.

(٢) مختصر كتاب البلدان: ٣١٥.

وقد اعترف الكثير من المستشرقين والباحثين المعاصرين بهذه الحقيقة، إذ يقول الدكتور عبد الله فياض: أما الأدلة التاريخية التي تؤيد ظهور التشيع بين العرب وفي بيئة تغلب عليها الصفات العربية، وهي الكوفة، فأهمها: أولاً: كان أنصار عليّ الذين أيّدوه في حربه مع خصومه يتكوّنون في الغالب الأعم من عرب الحجاز والعراق، ولم نعر على اسم فرد ذي أهمية أو قائد كبير من قوّاد عليّ من كان إيراني الأصل .

ثانياً: كان الذين يكتبون للحسين عليه السلام يستقدمونه سنة (٦٠ هـ) للكوفة كلهم - كما يظهر من الأسماء التي وردت في الكتاب المنسوب لأبي مخنف - من زعماء القبائل العربية الساكنة في الكوفة وسواها حينذاك.

ثالثاً: كان أنصار سليمان بن صرد الخزاعي في حركة التوابين، كلّهم تقريباً من القبائل العربية المعروفة.<sup>(١)</sup> وأكد على النقطة الأخيرة، المستشرق فلهوزن، حيث قال: اجتمع في النخيلة أربعة آلاف من التّوابين، وكان بينهم عرب من كل القبائل وكثير من القرّاء ولم يكن بينهم أحد

(١) تاريخ الإمامية: ٦٨.

من الموالي<sup>(١)</sup>.

وحول مسألة الخلط بين اتجاهات الفرس النفسية وبين ميولهم للتشيع، يقول فلهوزن أيضاً: أمّا أنّ آراء الشيعة كانت تلائم الايرانيين، فليست تلك الملائمة دليلاً عليه، بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك، إذ تقول: إنّ التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً في الدوائر العربية، ثم انتقل بعد ذلك منها إلى الموالي<sup>(٢)</sup>.

وينقل عبد الله الفيّاض عن ماسنيون قوله: إنّ همدان، القبيلة العظيمة الخطيرة ذات الشوكة والقوة كانت شديدة التشيع<sup>(٣)</sup>.

#### سبب آخر:

إنّ من الأسباب التي يتشبّث بها بعض الباحثين أيضاً لرّد التشيع إلى الأصل الفارسي، هي قضية زواج الإمام الحسين عليه السلام من إحدى بنات الفرس، إذ يقول الدكتور مصطفى الشكعة: وهناك برهان آخر يتمثله الذين يقولون بأنّ التشيع

(١) الخوارج والشيعة: ١٩٤.

(٢) المصدر السابق: ٢٤٠.

(٣) تاريخ الإمامية، عن خطط الكوفة: ١٦.

بدأ مذهباً سياسياً وليس عقيدة دينية، ذلك هو اجماع الفرس - ولا يزالون حتى اليوم- على التشيع لآل علي. والمنطق في ذلك أنّ الفرس يعتقدون أنّهم أنساب الحسين، لأنه تزوج شهر بانو (سلافة) ابنة يزدرجر، بعد أن وقعت أسيرة في أيدي المسلمين، ولقد انجبت سلافة عليّاً زين العابدين عليه السلام، وإذا فهم أحوال علي، ويمكن الربط بين تحمسهم لابن ابنتهم وبين تشيعهم، فتشيعهم والحال كذلك لا يمكن أن يقال إنه تشيع عقيدة خالصة، بل هو أقرب إلى تشيع العصبية منه إلى تشيع العقيدة، وتشيع العصبية يساوي تشيع السياسة، ففكرة التشيع من ناحية الفرس على الأقل فكرة سياسية خالصة، بل إنّ بعض الفرس قد أعلن انتصاره لعليّ زين العابدين لما يربط بين الفرس وبين بيت الحسين من نسب!<sup>(١)</sup>

إنّ ممّا يؤخذ على كلام الدكتور الشكعة، هو أنّ الشيعة ليسوا كلّهم من الفرس وحدهم حتى يمكن تقبّل تحليله هذا، فإذا كان الفرس يدينون بتشيعهم إلى رابطة الخوالة، للنسب بينهم وبين علي بن الحسين وأبيه الحسين عليه السلام، فماذا نقول عن الشيعة من غير الفرس، وخاصة العرب الذين كانوا

(١) إسلام بلا مذاهب: ١٧٣.

يمثلون لب التشيع قبل دخول الفرس فيه؟! ومن ناحية أخرى، فلو كان زواج الحسين عليه السلام من سلافة الفارسية هو الدافع للفرس لاعتناق مذهب التشيع، فإنّ الحسين عليه السلام لم يكن وحده الذي تزوج من أميرة فارسية، فقد كان هناك آخرون أيضاً تزوجوا من الأميرات الفارسيات اللواتي أُسرن وجلبن إلى المدينة، فإنّ عبد الله بن عمر قد تزوج أخت سلافة وأولدها ابنه سالمًا، وإذا كان الحسين عليه السلام ابن خليفة المسلمين، فإنّ عبد الله بن عمر كان ابن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب السابق في خلافته على خلافة علي عليه السلام.

كما وتزوج محمد بن أبي بكر الأخت الأخرى لسلافة وأولدها القاسم الفقيه المعروف. فضلاً عن أنّ محمد بن أبي بكر كان ابن خليفة أيضاً، وأبوه أسبق من أبي عبد الله بن عمر أيضاً في الخلافة.

وقد تمّ زواج الثلاثة في زمن عمر بن الخطاب.<sup>(١)</sup> من هنا نرى أنّ هذه الحجة داحضة أيضاً، ولا يمكن حمل تشيع الفرس لهذا السبب غير المنطقي.

(١) وفيات الأعيان ٤٥٥:١ ط بولاق.

## الخاتمة:

لقد تبين من كل ما سبق أنّ بذرة التشيع قد ولدت في زمن النبي ﷺ، وهو الذي غداها ونماها بأشادته المستمرة بعلي بن أبي طالب عليه السلام، ودعوته الناس للالتفاف حوله وإخبارهم بأنّه على الحق، وأنّ شيعته هم الفائزون. والوصية لعلي عليه السلام ليست من مدّعات عبد الله بن سبأ، بل هي نص ثابت للنبي ﷺ، منذ بداية الإسلام، وقبل عبد الله بن سبأ الموجود أو الموهوم، وقد أدرك الصحابة ذلك من خلال سؤالهم النبي ﷺ عن وصيته وإخباره لهم بذلك، حتى اشتهر أمير المؤمنين علي عليه السلام بهذا اللقب (أي الوصي)، وتغنّت به الشعراء، ودخلت هذه المفردة في معاجم اللغة كلقب له عليه السلام. قال ابن منظور: وقيل لعلي عليه السلام وصي<sup>(١)</sup>. وقال الزبيدي: والوصي، كغني: لقب علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>. واستشهد ابن أبي الحديد بعشرات الأبيات التي قيلت من قبل عدد من الصحابة والتي تثبت لقب الوصي لعلي عليه السلام<sup>(٣)</sup>. والشيعّة الأوائل كانوا من كبار الصحابة وذوي سابقتهم،

(١) لسان العرب ١٥: ٣٩٤.

(٢) تاج العروس ١٠: ٣٩٢.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة ١: ١٤٣.

وهم الذين تمسكوا بخط التشيع لعلهم ينجون ونشروه بين أفراد الأمة.

والشيعة الأوائل كانوا عرباً أقحاحاً. يقول جولد تسيهر: إن التشيع كالإسلام، عربي في نشأته وفي أصوله التي نبت فيها<sup>(١)</sup>.

والذين يحاولون أن يظهروا بأن الفرس قد دخلوا التشيع بهدف هدم الإسلام وإعادة الديانة المجوسية الى سابق عهدها، فإن عليهم أن يتذكروا أن معظم أئمة أهل السنة كانوا من الفرس، كالبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وأبي حنيفة وغيرهم من المحدثين والفقهاء، فلو كان غرض الفرس هو هدم الإسلام، فينبغي أن يكون غرض أولئك الأئمة من أهل التسنن هو نفس الغرض إذا ما جارينا أولئك في دعواهم.

لكن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن التشيع إنما يمثل خط الإسلام الأصيل البعيد عن الانحراف، والذي ظل يواجه هذه التيارات المشبوهة على مر الأيام، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

والحمد لله رب العالمين

(١) العقيدة والشرعة في الإسلام: ٢٠٥.





## مصادر الكتاب

- ١- لسان العرب لابن منظور
- ٢- السيرة النبوية أحمد زيني دحلان
- ٣- السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي
- ٤- المغازي للواقدي
- ٥- مسند أحمد (أحمد بن حنبل)
- ٦- صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري
- ٧- صحيح مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري)
- ٨- سنن ابن ماجة لابن ماجة القزويني
- ٩- المصنف لابن أبي شيبة
- ١٠- المسند للحميدي
- ١١- المسند لأبي يعلى
- ١٢- الطبقات الكبرى لابن سعد
- ١٣- تاريخ يعقوبي لابن واضح يعقوبي
- ١٤- الكامل في التاريخ لابن الأثير
- ١٥- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي

- ١٦- كنز العمال للمتقي الهندي
- ١٧- أنساب الأشراف للبلاذري
- ١٨- تاريخ دمشق لابن عساكر
- ١٩- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور
- ٢٠- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري
- ٢١- جامع الترمذي (الترمذي)
- ٢٢- سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي
- ٢٣- سنن الدارمي (الدارمي)
- ٢٤- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي المكي
- ٢٥- مجمع الزوائد لنور الدين الهيتمي
- ٢٦- فيض القدير للمناوي
- ٢٧- حلية الأولياء لأبي نعيم
- ٢٨- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
- ٢٩- ذخائر العقبى للمحب الطبري
- ٣٠- الرياض النضرة للمحب الطبري
- ٣١- أسد الغابة لابن الأثير
- ٣٢- أسباب النزول للواحدي
- ٣٣- السنن الكبرى للبيهقي
- ٣٤- السيرة النبوية لابن هشام

- ٣٥- المعجم الكبير للطبراني
- ٣٦- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي
- ٣٧- مصابيح السنة للبغوي
- ٣٨- مشكاة المصابيح لسبط ابن الجوزي
- ٣٩- تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي
- ٤٠- الفضائل لأحمد بن حنبل
- ٤١- مسند الطيالسي (الطيالسي)
- ٤٢- تفسير الطبري لابن جرير الطبري
- ٤٣- الأموال لـ (أبو عبيد)
- ٤٤- المنتظم لابن الجوزي
- ٤٥- المعجم الأوسط للطبراني
- ٤٦- الاستيعاب لابن عبد البر
- ٤٧- الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي
- ٤٨- معرفة الصحابة لأبي نعيم
- ٤٩- شرح المواهب اللدنية للزرقاني
- ٥٠- فرائد السمطين للحموي
- ٥١- نظم درر السمطين لجمال الدين الزرندي
- ٥٢- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي
- ٥٣- إحياء علوم الدين للغزالي

- ٥٤- كنوز الحقائق للمناوي
- ٥٥- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني
- ٥٦- الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني
- ٥٧- كفاية الطالب للكنجي
- ٥٨- المناقب للخوارزمي
- ٥٩- وقعة صفين نصر بن مزاحم المنقري
- ٦٠- الدر المنثور للسيوطي
- ٦١- خطط الشام لمحمد كرد علي
- ٦٢- النظم الإسلامية للدكتور صبحي الصالح
- ٦٣- دائرة القرن العشرين لفريد وجدي
- ٦٤- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني
- ٦٥- الصارم المسلول لابن تيمية
- ٦٦- الخوارج والشيعة لفلهوزن
- ٦٧- الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية للدكتور محمد  
عمارة
- ٦٨- تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة
- ٦٩- معجم البلدان لياقوت الحموي
- ٧٠- أحسن التقاسيم للمقدسي
- ٧١- مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه

- ٧٢- تاريخ الإمامية للدكتور عبدالله فياض
- ٧٣- إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة
- ٧٤- وفيات الأعيان لابن خلكان
- ٧٥- تاج العروس للزبيدي
- ٧٦- العقيدة والشرعية في الإسلام لجولد تسيهر



## الفهرس

|    |   |
|----|---|
| ٧  | كلمة المجمع العالمي لأهل البيت <small>عليه السلام</small> ..... |
| ٧  | كلمة المجمع .....   |
| ١١ | حقيقة التشيع ونشأته .....                                       |
| ١١ | مقدمة .....   |
| ١٧ | الفصل الأول: الإسلام والتسليم .....                             |
| ٢٠ | الاجتهاد في مواقف بعض الصحابة .....                             |
| ٢٩ | تفاقم الأمر .....   |
| ٣٣ | الفصل الثاني: المرجعية الدينيّة .....                           |
| ٣٦ | شروط المرجعية الشاملة .....                                     |
| ٣٧ | الكفاءة أولى شروط المرجعية الشاملة .....                        |
| ٤٢ | هوية أهل البيت <small>عليه السلام</small> .....                 |
| ٤٥ | النص من شروط المرجعية الشاملة .....                             |
| ٤٨ | النصوص النبويّة على الاستخلاف .....                             |
| ٥٣ | نصوص نبوية أخرى .....   |
| ٥٥ | مهمة التبليغ عن النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> .....   |

|     |  |
|-----|--|
| ٥٦  | علي وليكم بعدي .....                         |
| ٥٨  | التتويج .....                                |
| ٦٠  | مؤهلات الإمام علي عليه السلام للمرجعية ..... |
| ٦٢  | علي أعلم الأمة .....                         |
| ٦٦  | علي أشجع الأمة .....                         |
| ٦٦  | علي في بدر .....                             |
| ٦٧  | علي في أحد .....                             |
| ٦٧  | علي في الخندق .....                          |
| ٧١  | علي في خيبر .....                            |
| ٧٤  | علي في حنين .....                            |
| ٧٥  | أسباب الخلاف .....                           |
| ٨٣  | إجراءات خط الاجتهاد .....                    |
| ٨٨  | الفصل الثالث: بذرة التشيع .....              |
| ٩٤  | وضوح الخط: .....                             |
| ١٠٨ | ما بعد البيعة .....                          |
| ١١٠ | تعثر المسيرة .....                           |
| ١٢٨ | الفصل الرابع: مسيرة التشيع .....             |
| ١٣٢ | الفرق الإسلامية وانحرافات الغلاة .....       |
| ١٣٧ | مفهوم التشيع .....                           |



|  |     |
|--|-----|
| الغلُّ والغلاة .....                                       | ١٥٧ |
| موقف الأئمة الأبرار وشيعتهم من الغلاة .....                | ١٧٣ |
| موقف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من الغلاة .....        | ١٧٤ |
| موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من الغلاة .....       | ١٧٥ |
| موقف الإمام محمد الباقر عليه السلام من الغلاة .....        | ١٧٦ |
| موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام من الغلاة .....        | ١٧٦ |
| موقف الإمام موسى الكاظم عليه السلام من الغلاة .....        | ١٨٣ |
| موقف الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من الغلاة .....  | ١٨٦ |
| موقف الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام من الغلاة ..... | ١٩٠ |
| الفصل الخامس: حقيقة التشيع .....                           | ١٩٧ |
| شبهة الأصول اليهودية .....                                 | ١٩٨ |
| شبهة الأصول الفارسية .....                                 | ٢٠٤ |
| سبب آخر .....  | ٢١١ |
| الخاتمة .....  | ٢١٤ |
| الفهرس .....   | ٢٢٣ |